

سلسلة الفتوحات الإسلامية

(٢)

الخدعة الكبرى

لجنة البحوث والدارسات بالطريقة العزمية

جميع حقوق الطبع والنشر والتصوير والاقتباس والترجمة والنقل

محفوظة لمشيخة الطريقة العزمية

فاكس: ٣٩٠٨٨٤٨

ت: ٣٩٠١٠٣٠

الطبعة الأولى شعبان ١٤٢٥ هـ – أكتوبر ٢٠٠٤ م

رقم الإيداع

٢٠٠٤/١٦٥٦٤

محتويات الكتاب

الصفحة	الموضوع
٤	(١) المقدمة
١٢	(٢) آل سعود والوهابية المعاصرة
٤٩	(٣) من هم الوهابيون؟ وما هي الوهابية؟.
٥٤	(٤) الصراع بين الجاهلية والإسلام
٦٣	(٥) قيام النظام السعودي
٧٠	(٦) محطات النظام الملكي
٩٣	(٧) كلمة حول لقب الملك
٩٩	(٨) النظام الملكي
١٣٢	(٩) الأدلة القاطعة على عمالة الدولة الوهابية
١٤٢	(١٠) الخاتمة

المقدمة

أن شاخت الإمبراطورية العثمانية،
بدأت الهجمة الغربية تسعى بكل
جهدا وإمكاناتها إلى تفتيت أوصالها،
ومنع كل محاولات المخلصين من
معالجة مشاكلها المزمنة، والعمل على تجديد شبابها
وتصحيح انحرافها الذي انتهى بها إلى ما آلت إليه،
حينئذ برزت إلى الوجود حركات نشطة تدعو إلى
إحياء المشروع الإسلامى العربى، لإقامة دولة عربية
موحدة فى وطن عربى واحد، يملك كل مقومات
النهوض لتأسيس كيان تهيأت له كل أسباب الرفعة
والسؤدد.

وحينها كانت بريطانيا التى لا تغرب عن
مستعمراتها الشمس، زعيمة الغرب الإمبريالى، قد
انتبعت لخطورة ذلك المشروع المهدد دون شك

لمصالحها وأطماعها، وكعادة ساستها فى الخبث والدهاء، لم تعارض ذلك المشروع الطموح ، بل بدأت فى الاستفادة القصوى من قوة اندفاعه، ووضع الأسافين لوأده، ومنع قيامه، شجعت الشريف حسين ملك الحجاز، وعاهدته على مصالح متبادلة، (القضاء على الوجود العثمانى بالمنطقة العربية لمصلحة بريطانيا، مقابل السماح له بإقامة الدولة العربية وإعلانه ملكاً عليها)، وفى نفس الوقت زرعت كيانين خطيرين لم يكن لهما وجود، يستحيل أن يقوم بوجودهما الوطن العربى الواحد، وهما الكيان السعودى فى نجد القائم على فكرة محرفة للإسلام وتوظيفها لأغراض سياسية دنيوية (الوهابية)، والكيان العبرى فى فلسطين القائم على فكرة محرفة لليهودية (الصهيونية) فى مواجهة خطيرة بين الدين والقومية، (لاحظ تاريخ معاهدة دارين التى أقامت كيان آل سعود فى نجد ١٩١٥م، ووعدهم بلفور المشؤوم الذى

قام عليه الكيان الصهيوني فى فلسطين ١٩١٧م، ولاحظ كذلك ارتباط الموقعين بالأماكن المقدسة للرسالة الإسلامية)، وعندما رفض الشريف حسين التنازل عن فلسطين والموافقة على تملكها لليهود، أمرت بريطانيا عبد العزيز آل سعود بمهاجمته بعد أن أمدته بالقيادة والعتاد والعدة، وعلى رأسها استغلال بقايا الوهابية وعنفها السياسى المنحرف، ثم أمرته باجتياح مملكة الحجاز، التى شهدت جرائم حرب وفضاعات إنسانية، لم يعرف لها تاريخ الجزيرة مثيلاً، أريقَت فيها دماء المسلمين الأبرياء بيد آثمة تدعى الإسلام، ويدخل (جون فيلبى) مكة المكرمة ويعتلى منبرها ليخطب خطبة الفتح بعد أن زور اسمه إلى عبد الله فيلبى، مدعين إسلامه، وأثبت التاريخ بعد ذلك أنه لم يغير دينه.

منذ ذلك الحين بدأت العلاقة الوطيدة بين النظام الوهابى وبنى صهيون بشكل مباشر أحياناً، وبشكل

غير مباشر فى أغلب الأحيان، لكنها لا تخفى إلا على السذج الذين أغشى الجهل بصيرتهم، فكلما تعرضت إحداهما للخطر، بادرت الأخرى لإنقاذها مع الفارق بين مهام العميل (الوهابى)، ومهام الحليف (الصهيونى) ولكنهما يخدمان مصلحة من كان سبباً فى وجودهما، وبعد أن تأججت الثورة العربية فى فلسطين عام ١٩٣٦م بشكل أزعج بريطانيا وهدد وجودها بالمنطقة، كانت مؤامرة فيصل وعهوده الشهيرة التى صدقها المغفلون، وقسمه المنقول عن والده بأن بريطانيا لن تسمح بقيام الكيان الصهيونى على أرض العرب المقدسة، ولولا تلك الأيمان الكاذبة ما استطاعت بريطانيا تمكين الصهاينة من فلسطين، ودور آل سعود وآل صهيون فى وأد المشروع القومى الناصرى لا يمكن أن يخفى على أحد، والدور المشبوه الذى أدى إلى اتفاقية كامب ديفيد، ومشروع فهد الذى فت فى عضد الانتفاضة الأولى وعمم روح

الاستسلام فى المنطقة، وأخرها مشروع عبد الله الذى أعلن فى بيروت بصياغة أمريكية لإبطال روح العزيمة التى أجمتها انتصارات المقاومة الشعبية فى لبنان والانتفاضة الفلسطينية الثانية، والأخطر توظيف العقيدة الإسلامية وتحريفها لخدمة أغراض الغرب الإمبريالى أيام الحرب الباردة، ودفع الأمة الإسلامية لمواجهة المعسكر الشرقى دون الأخذ فى الاعتبار مصالحها ومشاريع نموها وتعزيز حريتها، حتى وجدت الأمة نفسها تدفع بشبابها- الذين خربت المؤامرات عقولهم- فى أتون حرب لم يكن لها ناقة ولا جمل فى صراع الطواغيت، وكان من الأجدى لها لو استثمرت تلك الظروف لخدمة مصالحها وتحريير أراضيها وإرادتها السياسية وتأكيد حيادها الإيجابى، الذى ظهر فى روح باندونج، الذى ما فتئت الأسرة السعودية على مناصبته العداة لخدمة لمن يملك إرادتهم، وكانت قمة الغباء فى توريط الأمة الإسلامية

بشكل مباشر فى حرب أفغانستان وما نتج عنها من مآسى طالت العالم الإسلامى ولا زالت تداعيتها تفت فى عضده حتى يومنا هذا، وحتى لا نجانب الموضوعية، ونملئ الاستنتاجات على القارئ، سنطرح الأحداث والوقائع التاريخية كما هى بحيادية كاملة، دون غرض سوى إدراك الحقيقة، والانطلاق منها لتكوين رؤية تسمح لكل متابع بأن يكون له رأى فى مصير الأمة فى هذا الوقت العصيب، لعلنا نوحّد الجهود وندفعها مجتمعين فى اتجاه إنقاذ منطقتنا من مصير بئس يحاك لها، وإعادة الروح لقواها الحية لعلها تتمكن من تحقيق مصالح الوطن والمواطنين، فى إطار المقاصد الإنسانية السامية.

لقد تأكّدت ضرورة التغيير، والسؤال القائم، لمصلحة من؟!..

إن النظام الجاهلى العميل المتخلف القائم فى جزيرة العرب، والذى تديره أسرة آل سعود دون حق

شرعى، ولا يستمد شرعيته من عرف أو دين، ولن يحقق استمراره سوى مصالح الطامعين، ولن يؤكد سوى عدم الاستقرار والمزيد من الدماء والأرواح وتشويه سماعة الإسلام، لذلك سنتناول بالبحث والتحليل نشوء مملكة آل سعود وجاهليتها الوهابية وما ارتكبته من جرائم حرب آثمة، وعدم شرعية نظامها، والضرر الجسيم الذى سببته لمواطنى الجزيرة العربية أولاً، والأممتين العربية والإسلامية، وثانياً: استعدادها الدائم لخدمة الطواغيت مقابل حماية نظامها، حتى إن كان ذلك على حساب ثوابت الإسلام وأصوله ومصالح المسلمين، والواجب الأهم إنقاذ الحرمين الشريفين من براثنهم قبل فوات الأوان، ثم سنبحث المخططات التى تستهدف المنطقة ومقاصدها، وسبل التصدى لها بمنتهى الموضوعية، دون غرض سوى العمل على إنقاذ الأمة مما يدبر ضدها، والعمل على إعادتها لاحتلال مكانها اللائق به فوق الأرض

وتحت الشمس كما أراد الله لها، خير أمة أخرجت
للناس، تأمر بالمعروف وتتنهى عن المنكر وتؤمن
بالله، والله من وراء القصد.

آل سعود والوهابية المعاصرة

إن النظام الرجعي فى شبه الجزيرة العربية بات خطراً على المنطقة والمجتمع الدولى، لأنه ينزح إلى العنف وإلى التكفير وإلى إهدار الدم واستباحة العرض للمخالف، وهو الذى أوجد فقها تعسفياً مغالياً، كان العصا الغليظة التى استغلتها أسرة آل سعود لقمهر مخالفيها، وبها شكلت سلطانها وصار لها دولة تملكها. وبها ضربت المذاهب السنية والمدارس الفقهية الأخرى وقمعتهم، وعبرها تم تمدد السلطة السعودية إلى خارج الحدود، لنشر مذهب التطرف فى الآفاق مدعوماً بالمال والثروة النفطية.

هذا التيار يشكل اليوم خطراً على المجتمع، وهى لا تعدو مسألة وقت قبل أن يبدأ فى استخدام العنف على إطلاقه، لكن العائلة المالكة تخشى (أن تقطع يدها بنفسها) وبالتالي لا تستطيع أن تضرب بيد من حديد التى يهدد بها وزير الداخلية دائماً، ورغم أن

المتضررين من نمو هذا التيار كثيرين فى الداخل والخارج، ورغم أن الخطر قريب وماحق، إلا أن العائلة المالكة لا تزال تتعاطى معه بكثير من الحذر والخوف، والسبب أنها تخشى من فقدان ما تبقى لها من شرعية وطنية تعوض عن نقص الشرعية الدينية بين وهابى نجد، ثم إن بين الأمراء من لا يزال يتعاطى الموضوع وكأن الوهابية المتطرفة مجرد ورقة فى العمل السياسى والصراع على السلطة بين أجنحة الحكم من نفس الأسرة. فى حين أن هذا التيار المتشدد زادت فتاوى تكفيره فى السنوات الماضية لتشمل أفراداً وأطيفاً اجتماعية ودينية مختلفة، ويكسب يوماً بعد آخر أرضاً جديدة.

قمع هذا التيار فى غياب الروح الوطنية والتغيير السياسى خطير، وهذا ما يفهمه أمراء آل سعود، ولذا فهم سيكررون تجاربهم الماضية، قمع من جهة للأجنحة المتشددة، ولكن بدعم من التيارات الرسمية

الدينية التي فقدت ألقها ومكانتها بين الجمهور السلفى النجدي، وهذا الحل لا يعلو على أن يكون تسكين مؤقت للمشكلة الحقيقية التي تكمن في العائلة المالكة نفسها، فهي التي سمحت بانتشار التطرف ومولته ضد أعدائها ولا تزال، رغم أنه بدأ يرتد عليها، وهي التي خلقت الظروف الملائمة لنمو شجرة العنف بسبب سوء إدارتها للاقتصاد الوطنى، وبسبب الاستبداد السياسى والفكرى الخانق الذى فرض فكراً واحدياً سلفياً متطرفاً، لا يسمح بظهور أى صوت آخر مواز - ولا نقول مخالف - له.

الحل ليس فى القمع ولا فائدة من الإصلاح مطلقاً، هذه الكلمة السحرية التي لم تكتشفها العائلة المالكة، أو لا تريد اكتشافها، إذا كانت قد نجحت فى الماضى فى تقليص أظفار التطرف الناشئ كل عقد أو عقدين من الزمن، فإنها هذه المرة وهى إذ تفقد شرعيتها غير قادرة على توسيع دائرة العنف، ولا تجد أحداً يقبل

بحججها ولا بسياستها حتى بين المخالفين للتيار، ولا حل أمامها سوى الهرب، قبل أن يكتسحها موج التطرف والعنف الداخلى، وقبل أن تدهمها ضغوط الخارج فتنفى العائلة المالكة، وتمزق الجزيرة العربية حسب أهواء النظام العالمى الجديد، وقطبه الأوحد.

منتصف التسعينيات قامت حكومة آل سعود بإيقاف مجموعة من الإسلاميين المعارضين الذين أثاروا شغباً فى (بريدة)، واقتحموا مبنى إمارة المنطقة، واعتصموا بالجوامع، وأثناء إيقافهم فى سجن الحاير الشهير، حدث انقسام وانشقاق بين الصف الأول والثانى من الموقوفين الذين جمعهم المعتقل بين جنباته، نشأ الخلاف بسبب الموقف الشرعى الواجب اتخاذه تجاه الحكومة، والعاملين فى جهاز المباحث من أعلى الرتب العسكرية إلى أقلهم رتبة.

سجن الحاير كان يحوى لوتين من الإسلاميين؛ (الصحويين الحركيين) و (السلفيين الجدد)، والذين

كان يتزعمهم الشيخ محمد الفراج ومجموعته، حيث كانوا يقضون أحكاماً بالسجن لسنوات فى قضية أخرى سابقة لأحداث بريدة، وكان ضمن هذه المجموعة الشيخ ناصر بن حمد الفهد، والشيخ عبد العزيز الجربوع، وقد كانا يمثلان الجناح المتشدد داخل هذه المجموعة، وهما اليوم يعتبران من رموز السلفية الجهادية.

بالتقاء الشيخ على بن خضير الخضير (الذى كان من بين الموقوفين بعد أحداث بريدة) بالأخيرين، نشأ تحالف جديد أحدث انقساماً داخل سجن الحابر، كان هذا الانقسام هو الشرارة الأولى والنواة لقيام تيار تكفيرى غال، ظهر على السطح لاحقاً ومارس أنشطته علناً ببيانات وفتاوى التكفير، برعاية ومباركة من الشيخ حمود بن عقلاء الشعبى وبعد وفاة العقلاء، تزعم الفهد والخضير هذا التيار.

السلفية الجديدة كانت تقتفى نهج ابن باز وتلاميذه،

وبعض آراء واجتهادات محمد ناصر الألبانى فى الفقه والحديث، وكان حى السويدى فى الرياض هو قاعدة هذا التيار، إلا أن التنقيب فى تراث الوهابية وفتاوى مروجيها فيما يخص مسائل تكفير المعين وموانعه، ومسوغات الخروج على الحاكم، أبرز الهدف واستخرج أحقاداً عانت من تراكم الغبار، وأفكاراً أصابها الضمور، تم توظيفها سلاحاً فتاكاً لتكفير حكومة آل سعود.

يعود الأمر فى ذلك إلى اثنين.. أولهما: أبو محمد المقدسى.. الفلسطينى الذى يقيم فى الكويت، وتم إبعاده إلى الأردن، واسمه عصام البرقاوى وهو مؤلف الكتاب الشهير (الكواشف الجلية فى كفر الدولة السعودية)، ورسالته (ملة إبراهيم) تعتبر دستور التكفيريين، ويؤكد مطلعون على أنها فى الأساس تحشية على رسالة قديمة لجهيمان العتيبى تحمل الاسم نفسه، زار عصام البرقاوى الجزيرة العربية عشية

حرب الخليج الثانية، وقام بجولة زار فيها مدينة بريدة ومدناً أخرى، ولم يكن حينها يحظى بذلك القبول لا في الكويت ولا في الجزيرة، فقد كان رأيه بكفر علماء المؤسسة الدينية الرسمية، سبباً في جفول البعض منه خوفاً من بطش الحكومة وغضب هيئة كبار العلماء، كما أن خلافاً نشأ بينه وبين مريديه لإفتائه سراً بجواز السطو على البنوك، مما اضطره لاحقاً إلى الاتصال من تلك الفتوى، وأثناء الاجتياح العراقى للكويت فضل البقاء، وكان من يدخلون الكويت أثناء الاحتلال يأتون بأخبار تؤكد صحة ما كان ينفيه عن نفسه.

أما الآخر الذى كان له دوراً لا ينكر فى نشر مذهب التكفير محلياً، فهو اسم يجهله الغالبية العظمى من الإسلاميين فى الجزيرة العربية ويعتبر (عراب) هذا المذهب، وهو أبو سبيع (وليد السنانى) الذى لا يزال موقوفاً فى سجن الحاير منذ ما يقارب الثمان سنوات، وهو شخص يتمتع بصفات نادرة وسرعة

البديهة، وقوة الاستنباط، والثبات على آرائه، كما أن له حضوراً طاغياً في مجالس المناظرة التي كانت تجرى بينه وبين من يخالفونه الرأي، لقد كان له رسالة موجزة عن حكم (التحية العسكرية)، توصل - فيها كعادتهم في التكفير دون تمحيص للأدلة الشرعية- إلى أن التحية العسكرية كفر وردة عن الإسلام لما فيها من إظهار الخضوع لغير الله، وكان يقوم بنشرها بنفسه.

المتتبع لجذور هذا الفكر لا يمكنه أن يتجاهل أيضاً تأثير أهل الحديث، إخوان الحرم (جهيمان العتيبي ومجموعته) بمنشوراتهم وكتيباتهم التي كانت تطبع في الكويت وتهرب إلى السعودية قبل حادثة الحرم، منها (الرسائل السبع) التي أعيد إحيائها وبعثها أواخر الثمانينيات بعد أقل من عشر سنوات من القضاء عليهم، وإن لم تكن رسالتهم من الوضوح والصرامة كما في كتب المقدسى.

أيضاً هناك المواطنون الذين كانوا يزورون اليمن لطلب العلم على يد الشيخ مقبل بن هادي الوادعي، قبل حرب الخليج الثانية وعقبها، فهؤلاء كانوا أحد روافد التكفير في السعودية، وقد قام الوادعي أوائل الثمانينيات بتأليف كتاب تناول فيه أطراف الإسلاميين الموجودين في (السعودية) والخليج، وهو كتاب (المخرج من الفتنة)، أبدى فيه تعاطفاً واضحاً مع أهل الحديث، وأنحى باللائمة فيه على الحكومات العربية و(السعودية) على وجه الخصوص، وفي كتابه (السيوف الباترة لإلحاد الشيوعية الكافرة) هاجم الوادعي (السعودية) في ثمانية مواضع من الكتاب، وشكك في شرعية نظامها، كان الوادعي على علاقة وطيدة بأهل الحديث قبل طرده من السعودية عام ١٩٧٩م، لهذا كان موقفه من عدم شرعية النظام فيها يحتل العامل الشخصي عنده نسبة كبيرة، حيث كان الوادعي يرى عدم شرعية النظام (السعودية)، ويرى

أن حكامه مرتكبون لعظائم قد تبلغ بهم حد الخروج من الإسلام، وقد كان الوداعى يهاجم (السعودية) فى كتبه ويلمح إلى كفرها فى مجالسه، فى الوقت الذى يتلقى فيه دعماً منها كل شهرين بما قيمته خمسة عشر ألف ريال بواسطة عبد العزيز بن باز، ولم ينقطع ذلك الدعم حتى زار اثنان من طلاب الوداعى ابن باز وأثارا مسألة عدم شرعية الحكم السعودى فى مجلس عام، مما اعتبر انعكاساً لأفكار الوداعى.

إضافة إلى ذلك فإن مناخ الحرية والانفتاح الذى كان بقايا أهل الحديث فى الكويت يتمتعون به، منحهم جرأة فى التعبير عن قناعاتهم والحديث عنها، وكون الفترة التى امتدت من أواسط الثمانينيات إلى منتصف التسعينيات من ميلاد المسيح ﷺ، هى فترة الانتعاش للصحة الإسلامية، أعطى بقاياهم فى (السعودية) من أهل البادية والهجر - بسبب الزيارات الإخوانية المتبادلة بينهم - شعوراً بالثقة، والقدرة على التحدث

فى المجالس والمجامع ولو بالتلميح، عن فناعاتهم التى ترتكز فى الأساس على عدم شرعية الحكم.

فى العامين ١٩٨٩ - ١٩٩٠م كانت ذروة انتشار هذا الفكر ولكنه كان حينها مقصوراً على تكفير الحكومة فى العموم، مع خلاقات تفصيلية فيما دون ذلك كتعيين أشخاص بالحكم عليهم، وحكم وزراء الدولة والعاملين فى الجهاز العسكرى، باعتبارهم جنود الطاغوت، وهل عليهم ما ذكره القرآن عن فرعون: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ (القصص: ٨).

فى أواخر عام ١٩٩٠م بدا ملفتاً للأجهزة الأمنية أن الأشخاص الذين تستوقفهم مراكز التفتيش الأمنية، ولا يحملون التابعة أو بطاقة الشخصية، كانوا فى ازدياد، فقد كان البعض يمزق بطاقته، لأجل الصورة الملصقة التى يعتقد تحريمها، ولأمر ثان وهو الأهم أن كونك تحمل تابعة أو هوية سعودية هو إقرار

بالتبعية لنظام طاغوتى كافر .

لوحظ ازدياد أعداد الذين يعتقدون هذه الأفكار، حيث كانت تناقش قضايا حساسة كتكفير الحكومة وتضليل علماء المؤسسة الدينية فى مجالس عامة، يحضرها أحياناً الشيخ المسن، والصبى المراهق، وأنصاف المتقفين وغيرهم، ويستأثر بالحديث فيها شباب لم يبلغوا منتصف العشرينيات، كانت بريدة والمنطقة بعامتها قد عرفت أهل الحديث قبل أحداث الحرم، ولكنها واجهت تمددهم بشراسة، فقد كان نقد أهل الحديث اللاذع لمشايخ فقهاء الحنابلة، ومتون الفقه كزاد المستقنع وغيره، وتجهيلهم للقائلين بالوهابية الحكومية وسخريتهم بهم سبباً فى موجة من العداة الحكومى تجاههم، لهذا حينما انبعثت هذه الموجة بعد سنوات لم تخطئهم العين، فقد كانت شعورهم الطويلة، وثيابهم القصيرة حتى أنصاف الساقين، ولبس بعضهم للخواتم بأيديهم، تذكر بأيامهم

الغابرة ومأساة اقتحامهم للمسجد الحرام.

تقاطع أفكار أهل الحديث الجدد- الذين كانت تشكل الرياض والمدينة المنورة قاعدتين أساسيتين لهم- بأفكار إخوان بريدة الذين كانوا يهجون مدارس الحكومة ووظائفها، هياً جواً من التقارب بين الفئتين، مع شئ من الريبة والحذر، وكثير من عدم الارتياح من قبل إخوان بريدة، الذين كانوا يدينون بالولاء التام للحكومة وولادة أمرها، كما أنهم لا يقبلون نقد علمائهم وفقهائهم وكتب الفقه التي تدرس في مساجدهم، خلافاً لأهل الحديث كما سيأتى بيانه، وقتها عازمت مجموعة من وجهاء إخوان بريدة وبعض المشايخ فيها على رفع الأمر إلى السلطات، وتنبيهها إلى أن الأمر أصبح مخيفاً ومستقحلاً، ولا يجوز السكوت عنه، حتى وساطة بعضهم بوعود قطعوها أن تعالج المسألة، بطريقة أكثر حكمة، بعيداً عن الحكومة وأجهزتها الأمنية.

كانت نشرات أهل الحديث تؤكد على أهمية السنة، والأخذ بها، وتعييب على المذاهب الفقهية تحكيم أقوال الرجال في دين الله، والإشارة إلى بعد الحكومات والمجتمعات عن شرع الله والأخذ بسنة رسوله ﷺ، وكان غاية ما تضمنته تلك النشرات الحكم بالضلال والانحراف على الحكام وولاية الأمر، وحسب بعض المطلعين أن تكفير الحكومة السعودية كان رأياً لبعض طلبة العلم فيهم، الغريب أيضاً أن رسائل جهيمان كانت تتناول أحاديث المهدي النبوية وما يخص المغيبات والملاحم والفتن التي ستعرض لأمة الإسلام آخر الزمان، والمدهش أن جهيمان الذي كان يؤكد على اتباع السلف وأئمة الحديث، كان له تفسيراته الخاصة- غير مسبقة- لعدد من الأحاديث، ومنها أحاديث المهدي، فقد كان هناك توطئة وتمهيد وتبشير لمهديه الذي قتل في الحرم (محمد بن عبد الله القحطاني)، وهذا يعود إلى نزعة استقلالية بفهم

نصوص الشريعة من مصادرها من غير مفهوم السلف الأوائل.

أذكر المتابع أننا نتحدث هنا عن ألوان طيف الإسلاميون في السعودية، وهم: السلفية الجديدة (الوهابية الألبانية)، وأهل الحديث (جهيمان)، والسلفية الجهادية (الخضير والفهد)، والصحويون (الإخوان المسلمون) كالعودة والحوالى، وهم الذين كانوا يستأثرون بحصة الأسد من الإسلاميين.. وسلفية المدينة (الجامية)، وأما جماعة التبليغ فنزعتها الديوبندية لا تشفع لها ضمن هذا التصنيف (ألوان طيف الإسلام السلفى فى السعودية).

من الأمانة الإشارة إلى أن الفكر التكفيرى، لم يكن ينظر إلى قيادات الصحة والمنتمين إليها بعين الرضا، لأسباب كثيرة تتعلق بتفاصيل ليس هذا مجال ذكرها، أهمها أن قيادات الصحة والمنتمين إليها متغلغلون فى وظائف الحكومة، خلاف ما يجب

عليهم - حسب رؤية التكفيريين - من إعلان البراءة والمفاصلة القائمة على اعتزال وظائفها، ومنها حضور طروحات منظرى الإخوان المسلمين فى الخطاب الصحوى الذين لا يعتبرون من السلفيين بل حلفائهم فقط.

شكلت حرب الخليج الثانية منعطفا هاما فى تطور مراحل هذا الفكر، وإعادة ترتيب تحالفاته، كما أنها أعادت تشكيل الظاهرة الإسلامية فى (السعودية) عامة، حيث تم تطعيمها بأفكار أكثر جذرية وراдикаلية، وحدث ما هو أشبه بتبادل المقاعد بين تلك الألوان، كما أن الملمس اللين لحركىي الصحوة وقياداتها التاريخية، تكشف عن وجه أكثر شراسة حينما أفتوا فى محاضراتهم بتكفير اللواتى قمن بمظاهرة قيادة السيارات إبان حرب الخليج الثانية، وبوصفهم لمن أيدهن أو تعاطفوا معهن بأنهم علمانيون مارقون، إلى موقفهم من مشاغبات غازى

القصيبي وتكفيرهم له، كما أن موقفهم الرافض لتواجد القوات الأمريكية، وضع شرعية الحكومة السعودية تحت النقاش، الأمر الذي أكسبهم شعبية مضاعفة، وجماهيرية مكتسحة، ساعدت على إضعاف مصداقية مشايخ المؤسسة الدينية التقليدية (ابن باز وابن عثيمين) لموقفهم المؤيد للحكومة فيما يخص تواجد القوات الأجنبية في الخليج و(السعودية) لتحرير الكويت كما يدعون!!!.

حرب الخليج الثانية وذيولها وتداعياتها على الظاهرة الإسلامية في (السعودية) تمخضت عن ولادة ما عرف حينها بـ (سلفية المدينة) أو (الجامية) نسبة إلى د. محمد أمان الجامي، أستاذ العقيدة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وهو تيار كان استجابة للتحدي الذي فرضته الشعبية المكتسحة للعودة والحوالي، بدا هذا اللون الجديد بالتشكل قبلها بثلاث سنوات تقريبا، وحظى برعاية أجهزة الأمن الحكومية،

ولظروف ولادته ومسوغاتها، كان من المهم حضور فتاوى محمد بن عبد الوهاب، وأتباع المؤسسة الدينية الرسمية فى طروحاته.

انطبع هذا التوجه الجامى بتقليعات غلاة (الألبانيين) و(الوادعيين) وقد ارتكزت أفكاره على شيئين: الولاء المطلق للحكومة (السعودية) وولاية أمرها، والثانى: تبذيع وتضليل سلمان العودة وسفر الحوالى وغيرهما من قيادات الصحوة، وتكفير سيد قطب الذى يعتبرونه أبو الجماعات التكفيرية، ومؤسس (القطبية) التكفيرية، ويتزعم هذا التيار اليوم د. ربيع بن هادى المدخلى أستاذ الحديث بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، لاحقاً تحول اسم مدرسة (سيد قطب) الابتدائية ببريدة- التى كانت تسميتها فى السبعينيات الميلادية سبباً فى معارضة بعض المشايخ- إلى مدرسة سليمان الشلاش) الابتدائية.

الملفت للانتباه أن أكثر الذين اعتنقوا أفكار هذا

التوجه (الجامى) هم الوافدون والمقيمون فى (السعودية) ومن منطقة جازان، وبعض أطراف المنطقة الشمالية، وكانت قواعده فى الكويت والأردن واليمن، وهذا التوجه خرج من عباءة الألبانى، وتغذى من فكره، ومؤلفاته وأشرطة الكاسيت التى سجلت عليها محاضراته، ولكنه كان أكثر مزايدة وتشدداً، لهذا قوبلت تزكية الألبانى للحوالى والعودة، وثناؤه عليهما باستياء بالغ، دفع بعضهم إلى الهجوم عليه وتضليله.

سددت (سلفية المدينة) ضربات موجعة لقيادات الصحوة، ولأنها كانت تستخدم سلاح النص، وأقوال السلف وتلمز خصومها بالتقليل من أهمية التوحيد وسلامة العقيدة، فقد كانت ردة الفعل لدى خصومهم تكثيفاً لدروس العقيدة واهتماماً بالحديث والأثر حفظاً وتدريباً، ولكن افتقاد (سلفية المدينة) للمصداقية، وتقييمها لخصومها عبر مستوى الولاء الذى يدينون

به للحكومة والحكام، كان كفيلا بالقضاء عليها، فلم يلبث هذا التيار أن انحسر في منتصف التسعينيات، ولم يعد له اليوم حضور يذكر.

في مدينة حائل كانت أفكار التكفير تعشش في عقول شباب كثر، وقد كانت مدينة حائل لم تزل حديثة عهد بالحركات الإسلامية عموما.

ولكن لم يمض أقل من سنتين حتى كان غالبيتهم قد اعتنقوا أفكار (سلفية المدينة).

كما أنه علينا أن نضع في الاعتبار مشاركة آلاف من أبناء الجزيرة في الحرب الأفغانية إبان الاحتلال السوفيتي، حيث مكنهم ذلك من الاختلاط بالجماعات الإسلامية الأخرى التي عرفتھا المنطقة العربية، كالجماعة الإسلامية، والجهاد المصريتين، وجماعة التكفير والهجرة، و(التوقف والتبين).

وليس سرا أن منشورات هذه الجماعات التي تركز

على كفر الحكام والأنظمة العربية كانت تدخل (السعودية) ويتم نشرها عبر الأفغان العرب، وقد تمت مصادرة مجموعات كثيرة من هذه المنشورات والكتب من العائدين في الجمارك والمطارات، وكان كتاب المقدسى (الكواشف الجلية في تكفير الدولة السعودية) واحدا من هذه الكتب.

إن اهتزاز مصداقية علماء المؤسسة الرسمية بعد حرب الخليج الثانية أثر على أتباعهم وتلاميذهم، فهم وإن كانوا يتمتعون بثقة شعبية عارمة، لدى فئات المجتمع (السنى) على اختلاف شرائحهم، إلا أنهم كانوا يوما بعد يوم يخسرون أنصارا من الإسلاميين الذين رأوا في القيادات الجديدة بارقة أمل للفكك من الطغيان السعودي، وتضاعف هذا الانحسار بعد أحداث بريدة التي أعقبتها توقيف قيادات الصحوة، حيث قوبل بصمت بعض رموز المؤسسة الدينية، وبخذلان وتوبيخ من آخرين.

الفترة التي تفصل ما بين منتصف التسعينيات وأحداث الحادى عشر من سبتمبر أحدثت فراغا هائلا، ترتب عليه إعادة تشكل خارطة الإسلاميين فى كرهة أخرى، فسبع سنوات من التغييرات الكبرى العالمية التي أقلت بظلالها على المنطقة، مضافا إليها التحولات الداخلية، الاقتصادية والاجتماعية والثقافية و(الإنترنت)، أفرزت توجهين اثنين بارزين، أحدهما احتل الصدارة منذ الحادى عشر من سبتمبر - لأسباب يعرفها الجميع - وهو (السلفية الجهادية) التي انضوى تحت جناحها غالب ألوان الطيف الأخرى وانصهرت فى بوتقتها. والثانى بدأ فى التخلق - من رحم أكثر التوجهات تطرفا - منذ منتصف التسعينيات، وله الآن حضور يزداد يوما بعد يوم، وهو ما يسمى بالتيار التنويرى الإصلاحى، أو من يوصفون محليا بـ (العقلانيين) الذين يشكلون خطبا أكثر اعتدالا وانفتاحا.

ما نود التأكيد عليه أخيراً أن السلفية الجهادية بحركيتها، وكوادرها، ومنظريها (الفهد، والخضير) وغيرهما تقوم على فكرة مركزية هي (تكفير الأنظمة والحكام في البلاد الإسلامية) ما عدا النموذج الطالباني، وهذه الفكرة الجوهرية أفصح ابن لادن عنها، وكان أكثر صراحة في ذلك أثناء خطابه الذي ألقاه في خطبة عيد الأضحى في إحدى السنوات الماضية، وبالتالي فهي لا ترى حرمة دماء كل من يمثل هذه الأنظمة، من رؤساء دول، أو وزراء أو موظفي دول كبار، أو قيادات عسكرية، أو ضباط وأفراد، كما أنها تؤمن أن كل من يواجه إرهابها، أو يقف ضدها أو يعين على ذلك ولو ببلاغ أو تعاطف فهو كافر مرتد عن الإسلام حلال الدم والمال، ولهذا كان الشيخ حمود العقلاء يفتي بمقاومة أجهزة الأمن بالسلاح، وهذه الفتوى اليوم هي المعمول بها، وهذا ما يفسر ازدياد حالات إطلاق النار على الأجهزة

الأمنية، كما أن لها فهمها الخاص بها تجاه المسلمين الذين يعيشون في أمريكا والدول التي تسير في فلكها، فهم يعتقدون أن كل مسلم مقيم في هذه الدول محارب للإسلام، مادام من دافعي الضرائب.

الغالبية العظمى لا تعرف عن هذا التيار الذي يلقى تعاطفا واسعا جدا، إلا شعاره: (إخراج القوات الأمريكية والغربية من المنطقة)، هذا هو المعلن، ولكن ما هو أدهى من ذلك أن لهذا التيار تفسيره الخاص لنظام الحكم، وله آراء أخرى مخيفة فيما لو تمكن من حكم مجتمع من المجتمعات الإسلامية التي تمنحه التعاطف والتأييد، وتمكن من ترجمة تلك الآراء إلى سياسات مطبقة، حينها سيعلم الجميع أنه أكثر وحشية وظلامية من نظام آل سعود، في حين أن ابن لادن يرى أن كل أنظمة الحكم ليست إلا كفرا بواحا، فهو - حسب رأيه - كان مقيم بين طهرانى حكومة طالبان الكافرة، لأنها كانت تطالب باعتراف المجتمع

الدولى بها، ومنحها عضوية الأمم المتحدة!.

إن المتابع سيكون قناعه تامة، أن الفكر السلفى يحمل فى بنيته نزعة تكفيرية، والتركيز على الظاهرة الإسلامية/ الإسلامية فى (السعودية)، وهى على ألوانها ترتكز على قاعدة فهم منحرف لفقهِ السلف يشكل مرجعية أقوالهم ومواقفهم من الآخر المسلم وغيره، فهذه التشكلات المتطرفة اليوم ليست استثناء، فقد ولدت كلها من عباءة السلف الوهابى، وقد وقعت أحداث متشابهة لما نراه ونسمعه اليوم من تكفير وإهدار للدم، ومطالبة بإقامة حد الردة على فلان وعلان من علماء مثلهم، لا يقلون عنهم تقوى وتدينا وتمسكا إن لم يفوقونهم، فكيف بمخالفهم من أصحاب المذاهب الدينية والطوائف الأخرى، والتاريخ الإسلامى حافل بأمثلة كثيرة جدا.

شهد العالم الإسلامى فى القرن العشرين انفتاحا كبيرا على الفكر الديمقراطى، وأقيمت أنظمة برلمانية

وانتخابات رئاسية فى معظم البلاد الإسلامية بل
تمكنت دولة فى إقامة نظام الشورى الكامل
بالديمقراطية المباشرة، ماعدا مملكة آل سعود التى
ظلت تحتفظ بنظام شمولى مطلق يحتكر فيه الملك،
كل السلطات التشريعية والتنفيذية وفشلت فى إحداث
أى تطور ديمقراطى، وربما كان لهذا الفشل عوامل
عديدة ولكن أهمها الفكر السياسى الوهابى الرافض
للديمقراطية، الذى يجد هوى لدى أسرة الامتيازات
الحاكمة، ورغم أن العلاقة بين الحركة الوهابية
والنظام السعودى لم تكن على خير دائماً، وكان
يشوبها كثير من التوتر والصراع، بحيث كانت تفرز
تيارات راديكالية تطالب أحيانا بقطع رأس النظام، إلا
أنها كانت تعيش أزمة فكرية سياسية محيرة تتردد
فيها بين التكفير والخروج أو الإرجاء والخنوع، ولا
تجد بينهما مخرجا، وهذا ما دفع بعض حركات
المعارضة الوهابية للنظام السعودى كمنظمة (القاعدة)

اعتماد استراتيجية بديلة عن عملية الإصلاح الداخلي، وذلك بالتوجه للانتقام من الأعداء الخارجيين وتحميلهم كل المسؤولية عن تدهور الأوضاع السياسية الداخلية.

ففى حين اعترضت منظمة (القاعدة) على التواجد العسكرى الأمريكى فى بلاد الحرمين الشريفين، وجهت كل غضبها على (المحتل الأمريكى)، وتغافلت عن الداعى والطالب للحماية الأمريكية وهو النظام السعودى، وبدلا من أن تطالب النظام بطرد القوات الأجنبية، أو تعمل من أجل تغييره سياسيا أو تجد وسيلة للمشاركة فى القرار السياسى والضغط على الحكومة من أجل تنفيذ سياسات شرعية منسجمة مع الدين الحنيف والمصلحة الوطنية.. بدلا من ذلك اتجهت لخوض المعركة مع العدو الخارجى المحتل.

وكان على زعيم منظمة (القاعدة) أسامة بن لادن أن يحكم على النظام السعودى بالكفر حتى يستطيع أن

يخرج عليه، لأنه لم يجد سبيلا إلى المعارضة السياسية السلمية الشعبية بعد أن أغلق النظام في وجه المعارضة والتغيير كل الأبواب، ولم يستطع الدعوة إلى إقامة نظام ديمقراطى أو مجالس شورى حتى يتمكن هو وغيره من التعبير عن رأيهم بصراحة وإجبار النظام الحاكم على امتثال الحكم الشرعى أو الانقياد لإرادة الرأى العام، لأنه لم يكن يؤمن بالخيار الديمقراطى من الأساس أو لأنه كان يرى الطريق الديمقراطى بعيدا وطويلا فى ظل هيمنة الفكر السياسى الوهابى على البلاد

من هنا كان يبدو بوضوح أن الأزمة هى أولا أزمة الفكر السياسى، حيث اعتبر ابن لادن ومؤيدوه- من جهة- النظام السعودى (مرتدا وكافرا لأنه يخالف أهم مبادئ التوحيد ويأتى بأكبر ناقض من نواقضه وهو الولاء للكفار). ومن جهة أخرى اعتبر النظام السعودى ورجال دينه أسامة بن لادن وأتباعه

(خوارج ومرتدين)، ولم توجد بينهما لغة للحوار أو وسيلة للتفاهم، فى ظل انعدام الحياة السياسية الطبيعية فى مملكة آل سعود وعدم وجود نظام شورى أو صحافة حرة، وهو ما دفع ويدفع بأى معارض للنظام للخروج والتمرد والعصيان والكفر بالنظام وتكفير أصحابه.

وعلى رغم قوة الانشقاق الذى قامت به المعارضة الراديكالية، إلا أنها بدورها لم تقدم نظاما سياسيا بديلا عن النظام الاستبدادى المطلق القائم، ولم تدع إلى تطبيق الديمقراطية أو مشاركة الأمة فى الحياة السياسية، أو تأسيس قنوات دستورية للتعبير عن الرأى والمساهمة فى اتخاذ القرار ومراقبة تنفيذه، ومع أن نظام آل سعود قدم خلال العقود الماضية كثيرا من الوعود بإقامة نوع من الديمقراطية ومجالس الشورى، ولكن تلك الوعود لم تترجم إلى واقع ملموس أو مؤسسات دستورية ولن تترجم، ليس بسبب

الرغبة السلطانية فى الحكم المطلق والاستبداد فقط، وإنما لغياب الفكر الشورى ومعاداة الفكر الوهابى الجاهلى للديمقراطية باعتبارها ديناً إحادياً غريباً، وكفراً معادياً للدين الإسلامى؟! وشركاً بالله تعالى!، وناقضاً من نواقض التوحيد!، إضافة إلى الخوف من عامة السكان والتشكيك بدينهم أو اتهامهم بالشرك والانحراف والضلال والفسق والفجور.

من أجل حل هذه الأزمة لابد من دراسة وتحليل الفكر السياسى الوهابى، والغوص عميقاً فى نظرية (التوحيد) الخاصة، التى طرحها محمد بن عبد الوهاب، وأقام على ضوءها حركته المعروفة التى أفرزت النظام السعودى فى مراحل الثلاث، خلال القرون الثلاثة الماضية.

إن الظاهرة الديكتاتورىة موجودة فى كل زمان ومكان، ولكنها تتمتع بخصوصية بارزة فى تاريخ آل سعود، وترتبط بعلاقة وثيقة بالتفسير الوهابى للدين،

بما يمكننا من القول بوجود ظاهرة خاصة فى الاستبداد الوهابى تتجاوز حدود الديكتاتورية المعروفة فى جميع أنحاء العالم، والتي تتمثل فى استبداد الحاكم بالسلطة المطلقة وإقصاء مختلف طبقات الشعب وفئاته، إذ أنها تبدأ مع تكفير الحركة للجميع ومحاربتة واستباحة دمائه وأمواله وإنكار أية حقوق إنسانية أولية له، وإذا كان النظام السعودى الحديث قد خفف من غلواء الفكر الوهابى القديم، وتخلّى عن الكثير من تطرفه، إلا أنه لم يستطع التحرر تماما من التركة النفسية المرعبة للروح الوهابية المتشددة، ولا يزال يتداخل معها ويتأثر بها ويدعمها ويستند إلى الكثير من النظريات والمؤسسات والمدارس الوهابية المتطرفة.

ومع أن النظام السعودى عانى ويعانى من تطرف التفسيرات الوهابية وأحكامها المتشددة ضده، إلا أنه يخشى أن يفصل عنها تماما، خوفا من فقدان القاعدة

الاجتماعية والعصبية الحزبية التي تحتضن النظام، وقد استطاع أن يتجنب غضب القاعدة الوهابية عبر ضمان ولاء المؤسسة الدينية التقليدية ((من آل الشيخ خصوصا)) والتظاهر ببعض الشعائر الإسلامية وتطبيق بعض الحدود الشرعية، واستغلال الفكر السياسى الوهابى الذى ينص على وجوب الطاعة للأمرء والخضوع لهم.

وفى الوقت الذى كان النظام السعودى يستفيد من الفكر الوهابى فى تدجين المعارضة الوهابية، كان يستخدم الحركة الوهابية كبعبع فى مواجهة الحركات الشعبية المطالبة بالديمقراطية، بالإيحاء إليها بإمكانية سيطرة الحركة الوهابية على المجتمع، وإمكانية فوزها فى أية عملية انتخابية، وإطلاق يدها فى التعامل بشدة مع التيارات المختلفة العلمانية والطائفية الحزبية والإسلامية المستنيرة التى تعتبرها الوهابية كافرة ومرتدة، وحث المعارضة الديمقراطية على

القبول بالنظام السعودي واستبداده خوفا مما هو أعظم.

ولا يعنى ذلك أن الصورة قائمة جدا ولا أمل فى التطور الديمقراطى فى الجزيرة العربية، إذ أن ما يهون الخطب ويبشر بغد أفضل هو حدوث تطور مهم وإن لم يكن كبيرا فى داخل الحركة الشعبية، وولادة حركات إسلامية ديمقراطية تعيد النظر فى كثير من الأسس الوهابية، وإذا قبيض لهذه الحركات النمو والانتشار فإنها يمكن أن تساهم فى تغيير النظام السعودى وبناء نظام إسلامى ديمقراطى جديد.

ولكى نتعرف على كل تلك التطورات والاتجاهات والتيارات لابد أن نقوم بدراسة الحركة الوهابية، ابتداء من (نظرية التوحيد) التى قدمها محمد بن عبد الوهاب وبنى على أساسها النظام السعودى الذى منحه الشرعية والقوة والاستمرارية، وأثر تلك النظرية فى تفجير الصراع الدموى العنيف داخل منطقة نجد

والجزيرة العربية، وقيام الدولة السعودية الأولى وانهارها ثم قيام الدولة السعودية الثانية وما رافق ذلك من تفجير للصراع الداخلى بين أتباع الوهابية حكاما ومحكومين، وتكفير بعضهم لبعض.

ثم ننتقل إلى الحديث عن نشوء النظام السعودى الجديد الذى ظهر فى بداية القرن العشرين على يد الإنجليز الذين أتوا بنظام عبد العزيز بن سعود، وطبيعته وملامحه وعلاقته بالحركة الوهابية (الإخوان) التى اعتمد عليها أولا فى السنوات الأولى ثم قضى عليها بعد ذلك، ونشوء المؤسسة الدينية الوهابية وموقفها من الديمقراطية، ونقوم بعد ذلك بجولة على أهم الفصائل المعارضة للوهابية الموالية والخارجة، ونتوقف أخيرا عند الحركة الديمقراطية الإسلامية لنرصد أهم ملامحها واحتمالات نجاحها وقدرتها على تشكيل البديل الإسلامى عن الحركة الوهابية والديمقراطية الليبرالية الغربية.

ومن نافلة القول الإشارة إلى ضرورة الفصل بين الحديث عن الوهابية النظرية، والوهابية فى الواقع، إذ ليس كل من حمل اسم (الوهابية) أو انتمى إليها فى يوم من الأيام هو بالضرورة مؤمن بكل مقولاتها وملتزم بكل مواقفها ومترجم لكل ملامحها، فإن هناك حركة ثقافية متطورة ومتشعبة داخل الوهابية وربما نجد بعض الوهابيين ليس له من الوهابية إلا الاسم أو الهوية بالولادة، ولذا ينبغى أن لا نقع فى خطأ النظره إلى الآخرين وكأنهم كتلة واحدة جامدة لم ولن تتغير.

إن الحديث عن الوهابية هو نموذج للحديث عن التوجهات المتطرفة التى تحتكر الإسلام لنفسها وتجرد الآخرين منه أو تشكك فى إيمانهم، وانعكاس ذلك على آلية العمل السياسى والتوجه نحو الديكتاتورية والاستبداد.

من هم الوهابيون؟ وما هي الوهابية؟

"الوهابيون" هم كل من ينتسب إلى أراء محمد عبد الوهاب الذى أوجج فى أواسط القرن الثانى عشر الهجرى فى نجد حربا ضد المدارس والمذاهب الفكرية الإسلامية التى تخالفه الرأى والرؤية مثل الصوفية والأشعرية، معتبرا تلك الممارسات شركا أعظم بالله تعالى، وكفرا مخرجا عن الملة، ثم تحالف مع أحد أمراء نجد وهو بن سعود وأسس معه ما عرف بالدولة السعودية الأولى سنة ١١٥٧ وفى حين كان أتباع هذه المدرسة السابقون يطلقون على أنفسهم اسم الموحدون أو المسلمون فى مقابل المشركين، فإن خصومهم كانوا يطلقون عليهم اسم الخوارج، أما أتباع هذه المدرسة المعاصرون فيفضلون استخدام اسم السلفية والسلفيون، وقد شاع أيضا استخدام الوهابية من الطرفين كاسم علم عليهم من باب أنهم يشكلون تياراً مميزاً له خصائصه ومصنفاته وشيوخه، وهو

يختلف عن التيار العام للسلفية في كثير من الأمور، لذلك فقد استخدمه أتباع المذهب مثل محمد بن عبد اللطيف، وسليمان سمحان الذي قال: (نعم نحن وهابية نسقى لمن غاظنا المرأ). وقال عبد العزيز بن باز (هذا لقب مشهورا لعلماء التوحيد علماء نجد ينسبونهم إلى الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب لأنه دعا إلى الله عز وجل في النصف الثاني من القرن الثاني عشر.. وصار أتباعه ومن دعا بدعوته ونشأ على هذه الدعوة في نجد يسمى بالوهابي).

ورغم التزام الدولة السعودية بالفكر الوهابي، وتدرسه في المدارس والجامعات، إلا أنها تحاول منذ فترة طويلة التخلي عن اسم (الوهابية) الذي يقف عائقا أمام طموحها لقيادة العالم الإسلامي، حيث تصر على أنها تنتمي للتراث الإسلامي السني العام، ولا تتبنى مذهبا خاصا باسم (الوهابية)، وفي هذا المجال صرح عبد العزيز بن سعود في ١١/٥/١٩٢٩ قائلا:

"يسموننا بالوهابيين، ويسمون مذهبنا (الوهابى)، باعتبار أنه مذهب جديد أو عقيدة جديدة، ولم يأت محمد بن عبد الوهاب بالجديد، فعقيدتنا هى عقيدة السلف الصالح التى جاء فى كتاب الله وسنة رسوله وما كان عليه السلف الصالح!!؟".

وقال فهد عام ١٩٨٩: "إن الوهابية ليست مذهباً وإنهم ينعنون بالوهابية مدحا تارة وذما تارة أخرى، فى حين أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب لم يقم إلا بالدعوة لتطهير العقيدة من البدع والضلالات".

وهكذا يقول وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية السعودى صالح بن عبد العزيز آل الشيخ بتاريخ ١٨/١٢/٢٠٠١: "إن ما يدعونه بالوهابية ويزعمون أننا عليه هى منهج السلف وجوهر الدين، وليس هناك داع لتسميتها بذلك لأنها ليست مذهباً جديداً"، ويؤكد إنه "ليس هناك مذهب اسمه الوهابية" وأن الشيخ محمد بن عبد الوهاب الذى ينسب إليه تأسيس هذه الحركة

فى القرن الثامن عشر " لم يأت بجديد، بل إحياء مذهب السلف الذى يحرص على أن يكون الدين خالصا من الشوائب والبدع". وعبر صالح آل الشيخ عن أسفه لأن "الوهابية تستخدم اليوم لوصف المملكة لكى يقال أنها دولة متشددة" وفى نفس الوقت أكد الوزير على ضرورة "التمسك بثوابت المملكة وعلى رأسها التزامنا بالدعوة السلفية التى تمنحنا فرصة الانطلاق إلى العالم باتزان وبرؤية ذات أفق واسع؟!!!". وشدد على أن "حفاظنا على المملكة إنما هو بالمحافظة على هذه الدعوة، وهذا الفهم السلفى للشريعة والعقيدة الإسلامية".

ويقول عبد الرحمن بن سليمان الرويشد فى (الهدية السنية): (لم يكن إطلاق كلمة "الوهابية" التى يراد بها التعريف بأصحاب الفكرة السلفية شائع الاستعمال فى وسط السلفيين، بل كان أكثرهم يتهيب إطلاقها على الفكرة السلفية، وقد يتورع الكثيرون من نعت القائمين

بها بذلك الوصف باعتباره وصفا عدوانيا، وبمرور الزمن تحول هذا اللقب بصورة تدريجية إلى مجرد لقب لا يحمل أى طابع للإحساس باستقرار المشاعر، وأصبح هذا اللقب شائعا ورائجا بين الكتاب والمؤرخين الشرقيين والغربيين على حد سواء، ولذا فقد فضلت استخدام هذا الاسم ليس من باب الذم أو المدح وإنما من باب الدقة فى التعريف).

الصراع بين الجاهلية والإسلام

لن يغيب عن بصيرة كل متأمل فى الوقائع والأحداث التى عرفتها الأمة منذ انبلاج فجر الرسالة المحمدية- على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التسليم- صراعها الذى ما توقف لحظه واحدة، ولن يتوقف إلى أن يرث الله الأرض وما عليها، مع جاهلية ناصبتها العدا منى بدايتها.

ولن ينكر إلا جاحد تنكبت أقدامه سوى الصراط المستقيم، وعتَمَ الغبش الجاهلى على بصره وبصيرته أنه صلى الله عليه وآله وسلم أدى الأمانة وبلغ الرسالة وتركنا على محجة بيضاء ليلها كنهارها. محددة الأهداف، جلية المقاصد، واضحة الدلالات، لا تحتمل التأويل، لا تجتمع أمتها على ضلالة، ولا يحيد عن إجماعها إلا هالك.

والجاهلية التى نعنيها، ليست فترة تاريخية كما

يظن الكثيرون، بل هي حالة موضوعية، تظهر فى أفكار وسلوك ترسخ واقعا يناقض الإسلام دون شك، وتتأول رسالته ونصوصها ومناهجها بما يحقق أطماعها وأحقادها، وتحرفها عن مقاصدها، حتى أفقدت الأمة رشادها ورشدها.

لقد أجمع المسلمون على أن الخلفاء الراشدين أربعة، الأمر الذى يؤكد ضمنا على انتفاء صفة الرشد عن أتى بعدهم، ومنذ ذلك الحين وفى كل عصر وأوان تظهر قوافل العلماء لتصحيح الانحراف والعمل على إعادة الرشد للنظام الإسلامى، الذى لن يتحقق إلا بالعودة إلى أصول تلك المحجة التى تركنا عليها الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم والتى لا يختلف على وضوحها اثنين فى قلبيهما ذرة من إيمان ومعرفة بأصولها وقواعدها الفطرية، وفى كل فترة تقفز الجاهلية النفعية لتجبر حركة التصحيح لمصلحتها، وليبرز عن ذلك نظام حكم يرسخ جاهليتها

المقيّته، يناقض الدولة الإسلامية كما أرادها الله لأمة تدعوا إلى الخير، وتأمّر بما تعارف الناس على صلاحه، وتتهى عن كل فساد تنكره كل فطرة سليمة، نظامها الشورى الملزمة فرض عين على كل مسلم ومسلمة، الحكم فيها للناس، والحاكمية لله الواحد القهار، ودستورها القرآن الكريم الذى تعهد الله بحفظه، تتلو نصوصه وتفهمها كما فهمها الذى أوحى له (النص وفهمه) صلى الله عليه وآله وسلم على أحسن وجه فى حياته حتى صار قرآناً يمشى على الأرض وطبقه، ولم ينتقل من هذه الدنيا الفانية إلى جوار ربه فى أعلى مقام، إلا بعد أن بين ووضح وفهم وفسر وأعلن على الملأ اكتمال الرسالة ووضوح الدين، ليشهد علينا الله والتاريخ أنه قد بلغ البلاغ المبين الكامل. فى رسالة شاملة واضحة لا يحيد عنها إلا هالك.

ومنذ بداية القرن الأول، والجاهلية تقف لكل

صحة بالمرصاد تتحالف مع أعداء الله جهاراً نهاراً لإعاقة إقامة دولة الإسلام على قواعد عدله الإلهي، لتحقيق أغراضها الدنيوية الفاسدة، وبدلاً من أن تكون دولة الإسلام، بدأنا نعرف دولاً طاغوتية وملكا عضواً، تحتكره أسر وتتوارثه، بل وتجبر المسلمين على تسمية الدولة باسمهم من أموية إلى عباسية إلى عثمانية، وآخرها آل سلول التي تسمت (بالسعودية).

وجميعها تتلبس بالإسلام وتتظاهر به، ولا تدل مسالكها وتصرفاتها إلا عن جاهلية منافقة مفضوحة، تمثل أشد خطر على الإسلام، وتتكلم بكل أهله، تستبيح دماءهم وتنتهك أعراضهم وتستحل أموالهم، بل وتكفرهم وهم يقرون الله بالوحدانية ولسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالرسالة.

وحتى لا يعتقد أحد أننا ننطلق من أحقاد أو أننا نروج لأطماع، والله وحده يعلم أننا لا نبتغي إلا مرضاته وإقامة حجته على الناس أجمعين، نحرم ما

حرمته شريعة الإسلام ونحل ما أحلته، ونعلم أن أمة الإسلام لا تجتمع على ضلالة أبداً، سنسرّد الوقائع والأحداث ونترك الحكم إلى ضمير كل مسلم يعلم أنه محاسب أمام ربه يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

لقد بدأت المأساة منذ ظهور (ابن تيمية) الذى خالف علماء عصره معتقداً أنه على علم لا يدركه غيره، وقد توفرت له الفرصة الكاملة لشرح وجهة نظره، حاوره العلماء وحاجوه ودافعوه، وأقاموا عليه الحجة فى إجماع كامل لم يعرف التاريخ الإسلامى مثيلاً له فى مجالات التدافع الفكرى بين الفقهاء، وعند ظهور معاندته وإصراره على الجهل حتى أخذته العزة بالإثم، حكم عليه بما يستحق حتى مات فى سجنه غير مأسوف عليه.

ثم ظهر محمد بن عبد الوهاب الذى أخذ بأفكار (ابن تيمية) مخالفاً كل علماء عصره بل وأقرب الناس

إليه وأخيه وهم أكثر منه علما وأسلم فقها، وقد أدرك محمد بن عبد الوهاب هذا استحالة نشر مذهبه بالتدافع الفكرى والحجة الدامغة، فبدأ فى التفكير فى فرضه بقوة السلاح، فى وسط يكاد أن يكون جاهليا، وبدأ فى التحرك بين أمراء يتوقع فيهم حب الدنيا والقدرة على المغامرة لأجلها وقد تنقل بين عدد منهم إلى أن وجد ضالته فى محمد بن سعود أمير الدرعية، وقد أسس حركته على المطامع الدنيوية بتنظيم قطاع الطرق وتحريك غريزة الغزو التى كانت شائعة بين البدو، ليسجل التاريخ جرائم حرب وفضائع وانتهاكات لحقوق الإنسان طالت جميع سكان الجزيرة العربية والعراق والشام فى وقت كانت المنطقة تعمل على بحث مشروعها الحضارى الأول الذى أطلقه محمد على والى مصر مستفيدا من ثورة شعبية قادها زعيم الأشراف عمر مكرم ونظر لها علماء الأزهر.

وقد تهيأت أمامها كل ظروف النجاح، الأمر الذى

أزعج الغرب بزعماء بريطانيا التي لم تتوقف منذ ذلك الوقت عن إعاقة أية محاولة لإحياء ذلك المشروع الذى توقف فى بدايته وانكمش داخل حدود قطرية، وحتى داخل تلك الحدود التى سجن فيها لم يسلم من التآمر الذى انتهى باحتلال مصر. وفى بداية العشرينى الأولى من القرن العشرين بدأت معالم الصحوة الفكرية تنطلق من مصر ويرتفع الصوت الوطنى مجلجلا فى المنطقة العربية التى وحدثها الرغبة فى التحرر والنهضة، بدأ العقل الأنجلو سكسونى يخطط لوأده فى مهده وبدأت فى استحداث نظامين من أخطر الأنظمة التآمرية التى عرفتها المنطقة لتدمير كل محاولة للنهوض والوحدة وهما النظام السعودى الذى بدأت عملية الإعداد لإقامته فى عام ١٩٠٢ حتى إعلان نواته فى منطقة نجد، بموجب اتفاقية (دارين فى ديسمبر ١٩١٥) ووعد بلفور ١٩١٧ باعتباره الخطوة العملية الأولى لإقامة النظام العنصرى

الصهيونى فى فلسطين، وأهم ما يجمع النظامين:

(١) إقامتهما على مناطق الأماكن المقدسة لكل الرسائل السماوية وأهمها الحرمات الثلاث (مكة- المدينة-القدس).

(٢) تابعة النظامين الكاملة للمشروع الإمبريالى الغربى وغربتهما عن طموحات وأمانى المنطقة وأهلها، مع فارق أن الأول عميل والآخر حليف.

(٣) قيام النظامين على فكرة خدمة المصالح الغربية فى المنطقة مقابل تعهد الغرب بحمايتهما وتمكينهما، مع ملاحظة سياسة العنف التى يتبعهما النظامين وفرض وجودهما بالقوة المسلحة واحتكار السلطة فى بنى سلول وبنى إسرائيل دون غيرهما من أهل المنطقة ومواطنيها.

(٤) قيام النظامين على فكرة دينية محرفة تدعى تمسكها بشريعة سماوية تناقضها، وإقامة النظام

وإخضاعه بالكامل لتلك المفاهيم المحرفة وإجبار العالم على الأخذ بهما، مع ملاحظة أن النظام الأول عميل مرحلي مؤقت تنتهي مهمته بانتهاء الحاجة إلى خدماته، والنظام الثاني رأس حربة لنشر عقيدة تستهدف اجتثاث جذور الإسلام وتهيأة الرأي العام الغربى لرفضه الناتج عن صورته المشوهة التى لا وجود لها إلا فى تصرفات صنّيعة الغرب الوهابية السلولية الممثلة فى النظام السعودى وأدواته، ومن تمكنت من تدمير عقولهم من شباب الأمة.

قيام النظام السعودى

تنبهت المخابرات البريطانية التى كانت تهيمن على العراق ومنطقة الخليج، لوجود عبد الرحمن آل سعود وابنه عبد العزيز اللذان كانا لاجئين بالكويت، فقامت بإعداد الابن وتجهيز الجيوش لإقامة دولة فى منطقة نجد، بل ومدته بالخبرة العسكرية لقيادة معاركه

وضمان نجاح تلك السيطرة (قتل النقيب شكسبير وهو يقود الحملة لإسقاط نظام آل رشيد)، ثم قامت بالربط بينه وبين حركة الإخوان الوهابية، فى استغلال فاضح واضح للدين وتسخيره لأغراض دنيوية نفعية، فالعالم أجمع يعرف انتفاء أية صفة دينية عن عبد العزيز آل سعود وجميع أبنائه، الذين تظهر على تصرفاتهم جميع الأفعال التى أنكرها الشرع ومنع المسلمين من مجرد الاقتراب منها، فهم أباطرة الميسر، ومعاقرى الخمر إلى درجة السفه، ومرتكبى فاحشة الزنا بطريقة مقرفة مقززة ترفضها كل نفس لازالت على إنسانيتها، لذلك فإن عبد العزيز الذى كان يلقب بالشيخ، سرعان ما أصبح يلقب بالإمام بعد أن بايعه الإخوان على ذلك، وكان لهم وللأسلحة البريطانية الكلمة الفصل فى احتلال الحجاز والتكيل بأهله واستباحة حرمانهم وأموالهم بل ودمائهم، وكان العقيد جون فيلبى ضابط المخابرات البريطانية القائد العام لجيش آل سعود الوهابى، وإمعاناً فى الإذلال قام جون فيلبى بإمامتهم

فى صلاتهم بمكة واعتلاء منبرها ليخطب خطبة
الفتح، وليؤكد أن مكة والمدينة أصبحتا مستعمرتين
بريطانيتين، وقد نصبت بريطانيا العظمى عبد العزيز
لإدارتهما، ومنذ ذلك الوقت بدأت عملية تشويه
الإسلام لتكريه الرأى العام الغربى ومنعه من اعتناقه،
لتأكدهم أن ذلك المواطن لو وصل إلى جوهر الإسلام
لابد أن يعتنقه.

عندما استتب الأمر لعبد العزيز لم يعد يناسبه
مجرد أن يلقب بالإمام ذلك اللقب الذى يذكره بأنه
مسلم، فتحول إلى سلطان ثم إلى ملك، وبدأ فى تصفية
((الإخوان)) جزاء لهم على تمكينه من جزيرة
العرب، بأمر من الإنجليز، والحد من حريتهم لأنهم
لازالوا على الإسلام بالرغم من جاهليتهم، وخوفا من
أنهم لو استمروا فى العلم والتعليم لاشك أنهم
سيكتشفون جوهر الحقيقة ويتوبون من ضلالتهم بعد
أن يعود لهم الرشد، ولاشك أنهم سيطالبون بإقامة

مجتمع الشورى الذى يهدد نظام آل عبد العزيز الذى يريد وراثيا، وقد أقام نظام آل سعود مؤسسة دينية تكيف الدين على هواه وتفنيه بما يريد، تبيح له ولأولاده كل المحرمات، وتفتى بكفر من يخالفه وتأمّر باستباحة ماله وعرضه ودمه، والأهم، توفير الفتوى الشرعية التى يحتاجها النظام لتنفيذ أوامر أسياده، مثل تكفير الأنظمة العربية الرافضة للهيمنة الغربية، وتعميم الأفكار الدينية المحرفة التى خربت العقول ودفعتها لإرهاب مواطنيها، والتى طال إرهابها كل حضر ووبر فى الوطن العربى والعالم الإسلامى، والأهم إعاقاة العقل السليم عن التفكير فى قضايا عصره بما يعيد الرشد إلى نظامه السياسى الذى فقد رشده وحصره فى قضايا الحيض والنفاس والنكاح واللحية والجلباب والنقاب والحجاب، المهم ألا ينتبه إلى المقاصد الأساسية المحققة للمصالح الإنسانية المرسلة التى ما كانت الشرائع إلا لتحقيقها.

كانت آخر مهام النظام السعودي تحقيق المصالح الغربية الأنجلو سكسونية ودعمها في مواجهة الاتحاد السوفيتي أبان الحرب الباردة التي زجت ومولت ما يعرف بالأفغان العرب، في أفغانستان، ثم حرب الخليج الأولى ثم الثانية، وبعد أن استتب الأمر للغرب وتمكن من الهيمنة على العالم أجمع والتواجد العسكري المباشر في المنطقة العربية تقلصت أهمية نظام آل سعود وأصبحت تكلفة الدفاع عنه أكبر من المصلحة التي يمكن تحقيقها من خلاله، خاصة بعد أن انفلت الزمام، وانقلب السحر على الساحر الذي تجلت معالمه في أحداث ١١ سبتمبر وما تلاها، وفي عصر المعلومات والقرية الكونية أصبحت عملية قبول النظام السعودي فكرة لا يمكن الدفاع عنها لدى الرأي العام الغربي، لتبدأ عملية التوظيف الأخير قبل السقوط لتنفيذ مهمتين وهما:

أولاً: بلبلة العقل المسلم بأفكار تراجعية تكفر كل

شئ، وتقدم الإسلام فى شكل لا يمكن لعقل سوى أن يقبله من جهة، ومن جهة أخرى تمبيعه إلى درجة التشكيك فى كل أحكامه وصولاً لتحريف نصوصه وتحويله إلى طقوس لا تأثير لها على الواقع الاجتماعى، وهذا ما ينفذه النظام حالياً.

ثانياً: إشاعة الفاحشة، وإثارة الغرائز، ومسح الهوية العربية الإسلامية، وهذا السيل من القوات الفضائية الإعلامية التى أفست الذوق وخربت السلوك كلها تتبع من جهة واحدة مصدرها الرياض وتمول بأموال آل سعود بشكل لا يمكن أن يغيب عن عقل أكثر الناس سذاجة.

بالرغم من كبر حجم المؤامرة، ووضوح العمالة، إلا أننا لم نكن على درجة من التفاؤل أكبر منها هذه الأيام، فالصحوة الإسلامية أعادت الوضوح إلى بصر كل ذى بصيرة، كشفت أمام كل مسلم أوكار النفاق وبدأت الصحوة التى تبشر بكل الخير، والتى لم تترك

مجالا للمنافقين وأحفاد الجاهلية على الاختفاء والغش والخداع، فها هم اليوم قد رد الله كيدهم فى نورهم، وبدأ المسلمون الصادقون البحث فى أصول الإسلام لمواجهة عصرهم بمشروع حضارى ينبع من قواعد العدل التى بشرنا بها الرسول الأعظم، ونعيد اكتشاف محبتها البيضاء، ويعود النظام الإسلامى إلى أصله الذى لا يقر خروجاً أو زندقة، وحتى نؤيد الحقائق بوقائع تاريخية مؤيدة وموثقة، نسرد وقائع قيام النظام السعودى ومحطاته الأساسية ونشأته على يد الإنجليز لتحقيق مصالح المشروع الغربى الإمبريالى الرامى للسيطرة على المنطقة وتدمير هويتها ودينها، إنه التحالف الخطير بين ثلوث الشر، الجاهلية وتمثلها الوهابية، والنفاق السلولى الواضح وتمثله أسرة (آل سعود)، والاستكبار العالمى الذى تقوده الصهيونية العالمية التى تمكنت من السيطرة على مركز القرار الأمريكى.

محطات النظام الملكي الوراثي لآل سعود

هناك ست محطات، في تاريخ اسم الدولة
"السعودية" ينبغي التوقف عندها:

* بين عامي ١٩٠٢ م - ١٩١٥م، كان لقب "عبد
العزیز" هو : "الشیخ، وأحياناً الأمير".

* وبين عامي ١٩١٥م - ١٩٢١م، أصبح لقبه
"الإمام"، بعد أن تحالف مع إخوان الوهابية وتظاهر
بالتدين.

* وبين عامي ١٩٢١م - ١٩٢٦م، أصبح لقبه
سلطان.

* وبين عامي ١٩٢٦م - ١٩٢٧م، أصبح لقبه
"سلطان وملك" .. سلطان لنجد، وملك للحجاز.

* وبين عامي ١٩٢٧ م - ١٩٣٢م، أصبح لقبه
"ملك"، ملك الحجاز ونجد وملحقاتهما.

*ومنذ عام ١٩٣٢ م - وحتى الآن، أصبح لقبه
ولقب خلفائه "ملك المملكة العربية السعودية".

هذه المحطات الست، تحكي كل منها، فصلاً من
فصول تاريخ بناء الدولة "السعودية" الثالثة، كما
يبرهن كل منها على أن العقلية التي تحكم تصرف
ابن سعود هي عقلية التسلط والملك والعمالة ولا شيء
سوى ذلك.

في المحطة الأولى "١٩٠٢ م - ١٩١٥ م"، وبعد
احتلال "عبد العزيز" للرياض من منطلق قبلي بعيد
عن الدين، وبدعم من الإنجليز وتنفيذاً لأوامرهم
أصبح يسمّى أميراً، أو الشيوخ، إلى عام ١٩١٥ م
وهو العام الذي احتوى فيه حركة الإخوان، والذي
رفع بعده شعار الإسلام.. وقد تمت البيعة الصورية له
بالإمارة لا بالإمامة.

وفي المحطة الثانية (١٩١٥م - ١٩٢١م) طرح لقب الإمام، تماشياً مع معتقدات حركة الإخوان، القوة العظمى في نجد، ولذا يقول جلال كشك:

(وبالنسبة "لعبد العزيز"، فقد بدأ تلقيبه بالإمام على نحو بارز بظهور حركة الإخوان وانتهى ذلك بزوالهم، إذ تغلب لقب "الملك".. وكان الإخوان يحبون مناداته بالإمام".

إذن كان الترفع بلقب الإمام لضرورة، فلما زالت.. زال اللقب.. في دليل واضح على تأصل النفاق.

وفي المحطة الثالثة (١٩٢١م - ١٩٢٦م)، أطلق ابن سعود على نفسه لقب (سلطان) بعد أن سيطر على كل نجد، وسقطت فاكهة حائل في يده.

وقد كان تلقيبه بالسلطان مرحلة متقدمة ليسمي نفسه

بالمك.

وفي ٢٢ أغسطس ١٩٢١ م / ١٣٣٩ هـ نصبت
بريطانيا "عبد العزيز" سلطاناً على نجد، وفيصل ملكاً
على العراق بحجة رفع مكانتهما كما يدعى جلال
كشك.

وهذا العذر لا شك أنه ساذج، لأن الدولة إذا كانت
قائمة على أساس من الدين والقيم، فإنها تتال احترامها
من كونها دولة حرة مستقلة تتال شرعيتها من شعبها
وليس من الألقاب الفضفاضة التي لا تتناسب مع
الدين.. وإن كلاماً كهذا يعني أن وقع كلمة "إمام" أقل
تأثيراً على الصعيد العالمي من كلمة "سلطان".. فإن
كان ذلك صحيحاً - وهو ما لا نعتقده - فإنه ليس
مبرراً لاختياره، لأن فيه تخلي عن لقب إسلامي.. أما
أهل الحل والعقد الذين ذكرهم جلال كشك، فإنهم لا
يستطيعون أن يحلوا أمراً ويعقدوه.. وكان اجتماعهم
بأمر ابن سعود. ويرى محمد المبارك - ككثير من

العلماء - أن كلمة "سلطان" هي في أصل اللغة
بمعنى السلطة والقوة والنفوذ ، وبهذا المعنى استعملت
في القرآن كقوله تعالى لإبليس :

﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾ (الحجر: ٤٢)،
وقوله: ﴿ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ
سُلْطَانًا ﴾ (الإسراء: ٣٣).. وقوله لموسى: ﴿ قَالَ
سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا ﴾
(القصص: ٣٥).

وإنما الملك أو الأمير صاحب السلطان، أي السلطة
والقوة والنفوذ.. فإطلاق كلمة "سلطان" على الأمراء
والملوك حدث في زمن متأخر، وهو خروج عن
الأصل اللغوي، وعلى كل ليس هو باصطلاح
إسلامي).

أما المحطة الرابعة "١٩٢٦ - ١٩٢٧" والتي

تقلص فيها دور الإخوان بعد احتلال الحجاز، آخر معقل سمح الاستعمار الأجنبي "لعبد العزيز" باحتلاله مقابل الاعتراف بالوضع الإقليمي، أي وضع التجزئة الذي خطه الإنجليز بعد سقوط الدولة العثمانية.. هذه المحطة تبدأ بعد أسبوعين تقريباً من سقوط جدة، حيث أعلن "عبد العزيز" نفسه ملكاً على الحجاز فقط دون نجد التي بقي سلطاناً عليها، خوفاً من استنارة أهلها باسم "الملك"!!..

وضع ابن سعود بعد سقوط جدة نظاماً للحجاز الذي سماه "المملكة الحجازية"، كانت مادته من إملائه بمكة في ١٦ صفر ١٣٤٥ هـ / آب (أغسطس) ١٩٢٦ م، وتولت صياغته جماعة كانت تعرف باسم "الجمعية العمومية" شكلها الملك نفسه.. ونشر في الجريدة الرسمية، في ٢١ صفر ١٣٤٥ هـ ، باسم التعليمات الأساسية للمملكة الحجازية.

وهذا هو نص قانون "مملكة الحجاز" التي لم تدمج

حتى ذلك الحين بنجد - رسمياً على الأقل - ، والتي
أملها "عبد العزيز" نفسه :

مادة ١ : إن المملكة الحجازية، بحدودها المعلومة،
مرتبطة بعضها ببعض لا تقبل التجزئة ولا الانفصال
بوجه من الوجوه .

مادة ٢ : إن الدولة العربية الحجازية، دولة ملكية
شوروية إسلامية مستقلة في داخليتها وخارجيتها.

مادة ٣ : مكة المكرمة هي عاصمة الدولة
الحجازية.

مادة ٤ : إن اللغة العربية هي اللغة الرسمية
للدولة.

مادة ٥ : تكون جميع إدارة المملكة الحجازية بيد
صاحب الجلالة الملك "عبد العزيز" الأول بن عبد
الرحمن آل فيصل "آل سعود".

مادة ٦ : الأحكام تكون دوماً في المملكة الحجازية

منطبقة على كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، وما كان عليه الصحابة والسلف الصالح.

مادة ٧ : يعين من قبل صاحب الجلالة الملك "نائب عام" .. وبقدر اللزوم مديرون ورؤساء لإدارة أمور المملكة.

مادة ٨ : بما أن النيابة العامة هي المرجع العمومي لجميع دوائر الحكومة وأقسام إدارتها، فكل واحد من مديري الدوائر ورؤسائها يكون مسؤولاً أمامها عن حسن جريان الأمور الداخلة في دائرة وظيفته، وهي مسؤولة أمام صاحب الجلالة الملك.. الذي لم يلتزم بأى بند من هذه البنود في خيانة صريحة لعهد قطعه على نفسه.

ومنذ مبايعة ابن سعود ملكاً على الحجاز في يوم الجمعة ٢٥ جمادى الثانية عام ١٣٤٤ هـ / ١٠ يناير ١٩٢٦ م، ابتدأت إرهابات ثورة الإخوان، الذين كان

أحد أسباب قتالهم الشريف حسين تسمية نفسه ملكاً..
وقد أنكر الإخوان على "عبد العزيز" الألقاب المبتدعة
الجديدة مثل "سيدنا الأمير" و "سمو" و "صاحب السمو"
و "صاحب الجلالة" و "المعظم" وغيرها.. بل إن
مجموعة من قادة الإخوان دخلوا على "عبد العزيز"
في مجلسه شاهرين السيوف ومستنكرين، وهددوه
بالخلع لأنه شارك الله في أسمائه الحسنى.

وقد ازداد لهيب ثورة الإخوان بعد إعلان نجد
وملحقاتها مملكة هي الأخرى، لتبدأ محطة الألقاب
الخامسة، عام ١٩٢٧ م.. فبعد سبعة أشهر ونصف
بالضبط من إعلان مملكة الحجاز، اجتمع أهل الحل
والعقد المزعومين، في ٢٩ يناير ١٩٢٧ م، وطالبوا
الملك بتسمية نجد باسم المملكة النجدية، غير أن الملك
فضل التريث في الإعلان حتى شوال ١٣٤٥ هـ ،
حيث أصدر بلاغاً بذلك نشرته جريدة أم القرى، في

عددها " ١٢١ " وبتاريخ ٨ أبريل سنة ١٩٢٧م، وهذا
نصه:

(بمناسبة تشريف حضرة "مولاي صاحب الجلالة"
ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاته، "عبد العزيز" بن
عبد الرحمن آل فيصل "آل سعود" إلى الرياض
عاصمة السلطنة النجدية وملحقاتها. تقاطرت إليها
الوفود من سائر أنحاءها، وعقدت هذه الوفود من أهل
الحل والعقد مجلساً حافلاً ضم ممثلي كافة مقاطعات
السلطنة النجدية وملحقاتها في ٢٥ رجب سنة ١٣٤٥
هـ، تحت رئاسة الإمام الجليل عبد الرحمن آل
فيصل، والد جلالة الملك المعظم، وقرر المجتمعون،
وهم أهل الحل والعقد، جعل السلطنة النجدية
وملحقاتها مملكة باسم "المملكة النجدية وملحقاتها"
والمناداة بحضرة صاحب الجلالة الملك المعظم ملكاً
عليها، ثم رفعوا الأمر إلى جلالته ملتزمين بقبول ما
تم القرار عليه، فوافق جلالته على مقرراتهم وأصدر

أمره الكريم الآتي :

"بناء على ما عرضه علينا أهل الحل والعقد من رعايانا في سلطنة نجد وملحقاتها "المملكة النجدية وملحقاتها" وأن يكون لقبنا من الآن فصاعداً "ملك الحجاز ونجد وملحقاتها " ونسأل الله التوفيق..".

التوقيع (عبد العزيز)

٦ شوال ١٣٤٥ هـ

ولا يشك في أن اجتماع من سمووا بأهل الحل والعقد، ما هو إلا مسرحية، إذ ليس هناك أحد في سلطنة ابن سعود يستطيع أن يحل أو يعقد غير الإنجليز، وكان الاجتماع أساساً قد خصص لإدانة الإخوان، وبعد أن استكملت الإدانة بواسطة وعاظ الملك، بويع بالملك، يقول حافظ وهبة عن ذلك الاجتماع: (في ٢٥ رجب سنة ١٣٤٥ هـ - يناير سنة ١٩٢٧ م، لبي جميع زعماء الإخوان الدعوة إلى

مؤتمر يعقد في الرياض، ما عدا سلطان بن بجاد، وفي هذا الاجتماع شرح الملك "عبد العزيز" موقفه شرحاً وافياً، فوصف نفسه بأنه خادم الشريعة، يحافظ عليها أتم المحافظة، وأنه هو الذي يعهدونه من قبل لم يتغير، كما يتوهم بعض الناس، وأنه لا يزال ساهراً على مصالح العرب والمسلمين، وقد انتهى هذا الاجتماع بالفتوى المشهورة التي أصدرها علماء نجد في صدد المسائل التي كانت سبب تشويش الإخوان، وأعلن الحاضرون تعلقهم بإمامهم وملكهم، وبايعوه بالملكية على نجد، فأصبح لقبه الرسمي، ملك الحجاز ونجد وملحقاتها).

وفي جمادى الأول ١٣٤٧ هـ، وبعد تصاعد الثورة الإخوانية، عقد ابن سعود مؤتمراً سُمي بالجمعية العمومية، لم يشترك فيه زعماء الإخوان، وخطب ابن سعود في هذا المؤتمر، مذكراً الإخوان بفضله عليهم وأنه هو الذي جمعهم وهداهم إلى

الإسلام.. كما أنكر عليهم أن يكون لأحدهم أي فضل عليه في توسيع ملكه.. وبعد هذا قدم ابن سعود تنازله عن العرش - اسمياً - وطالب الحاضرين أن يختاروا أحد أفراد أسرته للحكم.. (مسرحية غاية في السماجة)!!.

على أية حال ما كان ذلك هدف ابن سعود، الذي طالب الحاضرين بأن يبايعوه من جديد، لمهاجمة المتمردين الثوار.. لكن الإخوان وقادتهم تجاهلوا المؤتمر (وأذاعوا في الهجر أنهم قائمون بأمر الدين وإقامة الشريعة التي يهدمها "عبد العزيز"، وأن "عبد العزيز" "طالب ملك"، وموال للكفار، وشريك لهم في جميع الأعمال).

لقد كانت دوافع ثورة الإخوان محكومة بثلاثة عوامل :

الأول : ما وصفه الإخوان بتغيير "عبد العزيز" بعد

احتلال الحجاز فأعلن نفسه ملكاً وبدأت تصرفاته كالملوك .

الثاني : موالاة الإنجليز وانكشاف ارتباطه بهم .

الثالث : تعطيل ما يسمونه بالجهاد.. لأن الجهاد لا يقف عند حدود، فكيف يكون أهالي الكويت والعراق والشام كفاراً ولا يحاربونهم.. وهم الذين شحنوا بأن غيرهم كفار؟!، وكل من لا يرى رؤيتهم كافر.

فبعد هجوم الإخوان على مخفر "بصية" على الحدود العراقية، وقبيل معركة "السبلة" المشهورة، يقول ديكسون واصفاً الحالة - والأزمة - بين الإخوان وإمامهم:

(ولما ألحَّ الملك طلب ابن حميد - أي سلطان بن بجاد - الذي صار الآن يتمتع بتأييد الدويش - أحد قادة الإخوان - المطلق، أن تحل القضية حسب الشريعة المقدسة، وكانت خطتهما - الدويش وابن

بجاد - وضع ابن سعود في مأزق لكي يتسنى لهم
إجراجه حسب الحجة الآتية: يا "عبد العزيز"، أنت
كإمام كنت تدعو إلى الجهاد ضد الكفار المشركين،
ولطالما دعوت وكررت الدعوة إلى أن العراق كدولة،
يجب أن يدمر، وأن كل ما يؤخذ من أهله حلال..
ولطالما رددت قول القرآن الكريم لإثبات أن كل
الأعمال التي يقوم بها المؤمنون ضد الكفار
والمشركين يجب أن يكافأ عليها.. والآن، وبأمر من
الإنكليز الكفار أنفسهم، تدعونا نحن فرسانك
المختارين، سيف الإسلام، إلى إعادة ما أخذناه، لأنك
تعتبر ما فعلناه خطأ . فإما أن تكون أنت دجال منافق
تحب ذاتك وتبحث عن منفعتك، وإما أن يكون القرآن
غير صحيح. فليحكم علماء نجد بيننا.. - ويضيف
ديكسون:- ومما لا شك فيه أن الرعب دبّ في قلبه -
أي قلب عبد العزيز - بحيث إنه لم يفكر قط في
عرض القضية على أية هيئة من علماء الدين

الوهابيين، وبدل أن يقرر القطيعة مع البريطانيين،
قرر ضرب الإخوان بسرعة مرة واحدة وإلى
الأبد..).

ورغم قوة الإخوان العسكرية ، إلا أن مقتلهم كان
بسبب انفصال رجال الدين عنهم، وقد صدق وهبة
حين قال: (لقد كان لابن سعود سلاح آخر لا يقل عن
سلاح الجند وهم العلماء.. ولكن العاصين لم يعودوا
يثقون حتى بالعلماء، وقال فريق من الإخوان: إن
المشايع مقصرون مدهنون لابن سعود وقد كتموا
الحق عنه).

هذه الأزمة، أزمة الانفصال بين العلماء والقاعدة
المقاتلة، تكررت مرة أخرى في حركة الإخوان التي
انبعثت من جديد وفجرت انتفاضة الحرم عام ١٤٠٠ هـ.

ما كان ابن سعود ليقدر على استئصال حركة

الإخوان، لولا أن العلماء - معظمهم - أفتوا بأنهم خوارج، على حكم "الإمام" ابن سعود!.. فجرّدوهم من الشرعية والمظلة الدينية، ولو أن رجال الدين كانوا - رغم إيمانهم بعدالة مطالب الإخوان - صناعاً للحركة ومؤسسين لها، ما حصل هذا الشرخ .. فقد نصبوا كقيادات فوقية على الهجر، وكانوا يدينون بمناصبهم ومرتباتهم إلى ابن سعود وليس للإخوان.. وهذا سبب في أنهم فضلوا الملك على القاعدة رغم فساده وانحرافه، وإشكالاتهم عليه..

وابتدأت مرحلة جديدة بقاء الإخوان، فراح ابن سعود يتصرف في إدارة البلاد بشكل مطلق، دون أن يعبأ بمعارضة حتى من رجال الدين "الذين نصبهم بنفسه".

وكانت المحطة السادسة في تاريخ اسم الدولة

"السعودية" قد بدأت، فما إن قضى على الإخوان وهدأت ثورتهم، حتى أوعز إلى مجلس شورا ووكلائه في الحجاز "١٧ شخص" أن يكتبوا عريضة باسم الملايين يسترحمون "!!" جلالتة أن يسمي البلاد باسم "المملكة العربية السعودية" كتعبير عن أنها أصبحت إقطاعية للعائلة الحاكمة.

ففي الثاني عشر من شهر جمادى الأولى عام ١٣٥١ هـ، الموافق ١٣ سبتمبر عام ١٩٣٢ م، وكما يقول فؤاد حمزة: أنه (اجتمع لفيف من "الوطنيين" في الطائف وحرروا صكاً يطالبون بما ذكر أعلاه جاء فيه، أن اسم "المملكة الحجازية والنجدية وملحقاتها لا يعبر عن الوحدة العنصرية والحكومية والشعبية.. ولا يرمز إلى الأماني التي تختلج في صدور أبناء هذه الأمة للاتحاد والائتلاف .. ولا يدل على الارتباط الحقيقي بين شقي المملكة المهيبيين تحت ظل "جلالة الجالس على العرش" فإن المجتمعين يرفعون بكمال

الخضوع إلى "سدة حضرة صاحب الجلالة" أمنيتهم الأكدية في أن يتكرم بإصدار الإرادة السنية بالموافقة على تبديل اسم المملكة الحالي إلى اسم يكون أكثر انطباقاً على الحقيقة، وأوضح إشارة إلى الأمانى المقبلة، وأبين في الإشادة، بذكر من كان السبب في هذا الاتحاد، والأصل في جمع الكلمة وحصول الوحدة وهو شخص "جلالة الملك المُفدى" وذلك بتحويل اسم "المملكة الحجازية والنجدية وملحقاتها" إلى اسم "المملكة العربية السعودية"، الذي يدل على البلاد التي يقطنها العرب ممن وفق الله جلالة الملك "عبد العزيز السعود" إلى توحيد شملهم وضم شعثهم هذا، ولما كان الاستقرار والديمومة والثبات من الشروط الأساسية التي تستهدفها الأمم في حياتها السياسية والاجتماعية، والتي لا أمل بمواجهة صروف الحداث وكوارث الدهر إلا بها، والتي لا تقوم لبلاد ولا لأمة بدونها قائمة، كما هو مشاهد في تاريخ الأمم والحكومات

والدول التي أهملت مثل هذا الأمر الخطير، وما آلت إليه من سوء المنقلب والمصير، فإن المجتمعين يتقدمون إلى سدة صاحب الجلالة الجالس على العرش باستعطاف آخر مؤداه أن يتفضل جلالته بإصدار الأمر الكريم بالموافقة على سن نظام خاص بالحكم وتوارث العرش، لكي يعلم الجميع من صديق وعدو، وقريب وبعيد، أن هذا الملك موطن الأركان ثابت الدعائم، لا تزعزعه العواصف، ولا تنتهي عوده الأيام، وجلالته أطال الله عمره أول من يقدر أهمية هذا الأمر الخطير وفوائده العميمة في داخل البلاد وخارجها، وتقوية مركزها الأدبي والمادي، والله تعالى نسأله أن يوفق جلالته الملك المفدى إلى ما فيه الخير والصلاح، (هل يمكن أن يصدر مثل هذا الكلام عن مسلم يدعى اقتدائه بالسلف الصالح)، إنها إرادة إنجليزية دون شك وقعها أعلام النظام وهم: "فؤاد حمزة، صالح شطا، عبد الله الشيببي، محمد شرف رضا، عبد الوهاب نائب

الحرم، إبراهيم الفضل، محمد عبد القادر مغيربي،
رشيد الناصر، أحمد باناجه، عبد الله الفضل، خالد أبو
الوليد القرقني، محمد شرف عدنان، حامد دويحي،
حسين باسلامه، محمد صالح نصيف، عبد الوهاب
عطار".

وبناء على بيان هؤلاء السبعة عشر فقط، أصدر
الملك بياناً هزلياً ، قال فيه: إن كافة رعاياه رفعوا
إليه البرقيات- وهم الذين لم يفهموا حينها معنى
البرقية، بل إن الكثير منهم يحرم استعمالها - كما
ويدعى أنه نزل على رغبة الرأي العام، وكأن الخمسة
أيام التي تلت إصدار البيان من قبل هؤلاء "الأصابع"
كافية لتبلور رأي عام ضاغط، ويطلب بما يطلب به
هؤلاء!.

ففي السابع عشر من جمادى الأولى عام ١٣٥١
هـ الموافق ١٨ سبتمبر عام ١٩٣٢ م، أصدر ابن
سعود أمره الملكي بتغيير اسم مملكته، وأهم ما جاء

في الأمر: (بناء على ما رفع من البرقيات من كافة رعايانا في مملكة الحجاز ونجد وملحقاتها، ونزولاً على رغبة الرأي العام في بلادنا، وحباً في توحيد أجزاء المملكة العربية، أمرنا بما هو آت:

المادة الأولى: تحول اسم "المملكة الحجازية النجدية وملحقاتها" إلى اسم "المملكة العربية السعودية" ويصبح لقبنا بعد الآن "ملك المملكة العربية السعودية".

المادة السادسة: على مجلس وكلاتنا الحالي الشروع حالاً في وضع نظام أساسي للمملكة ونظام توارث العرش ونظام لتشكيلات الحكومة وعرضها علينا لاستصدار أوامرنّا فيها .

المادة الثامنة: إننا نختار يوم الخميس الواقع في ٢١ جمادى الأولى سنة ١٣٥١ هـ الموافق لليوم الأول من الميزان يوماً لإعلان توحيد هذه المملكة العربية..

صدر في قصرنا في الرياض في ١٧ / ٥ /
١٣٥١ هـ .

التوقيع (عبد العزيز)

كلمة حول لقب (الملك)

هناك إصرار غريب للحكام "السعوديين"، بشأن
دمج معنى "الإمامة" بـ "الملك" وأنهم يعتبرون -
كما الكتاب المدافعين عنهم أن لفظة "الملك" تعني
لفظة "الإمام" بكل ظلالها، بل إن بعضهم - من
فطاحل اللغة - اعتبروا لقب "الشيوخ" و "طويل
العمر" تعني تماماً "إمام"!!..!!.

لقد استعمل المسلمون لفظ "الإمام" الذي ورد ذكره
في القرآن الكريم في كثير من الآيات، كقوله تعالى:

﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي
جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ (البقرة: ١٢٤)، وقوله:
﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ (الأنبياء: ٧٣)،

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ (الفرقان: ٧٤).

وذلك لتمييز رئاسة الدولة الإسلامية عن غيرها من الدول الكسروية والقيصرية .. كما استعملوا لفظ "خليفة" و "أمير المؤمنين" ابتعاداً عن مفهوم النظام الملكي الذي كان يعني الاستكبار والعلو والفساد في الأرض.

(لهذا لم يسم الخلفاء الراشدون أنفسهم ملوكاً، رغم أن لفظة ملك ورد ذكرها في القرآن، ولكن لما اقترنت الملكية في تاريخ ما قبل الإسلام بالفساد والاستهتار والتحلل والاستبداد، من خلال التوارث المقيت، عدل الحس الإسلامي إلى الإمامة والخلافة تجنباً للمضمون المنحرف للملكية، بل إن ابن تيمية نفسه كان يقول: إن الخلفاء الراشدين "خلافتهم دامت ثلاثين سنة ثم آل الأمر إلى معاوية أول الملوك". وهكذا رأى ابن تيمية أن كلمة "ملوك" تطلق على من حكموا ممن لم يستكملوا شروط التعيين للخلافة

وصفاتها ممن تولوا إمرة المسلمين ابتداء من الأمويين
على اختلاف أحوالهم).

(والقضية بالنسبة لنا ليست قضية ألقاب سياسية أو
إدارية إطلاقاً، فلو كانت قضية ألقاب لهانت .. ولما
اعترضنا على الممارسات المنحرفة اليوم فيما يسمى
بـ "العالم الإسلامي".

القضية أخطر من ذلك بكثير، حيث إنها مرتبطة
بالتسلسل العقائدي في خلفية تفكير الإنسان المسلم
الذي يؤمن بأن الله هو الملك، وأنه مالك الملك،
وحيث إنه يملك هذا الكون كله بمن وما فيه، لذلك
فمن حقه الحاكمية والتشريع.. ومن واجبنا الاتباع لا
الابتداع، فإذا جاء أحد التعساء المرضى وقال : أنا
الملك، اهتز كل ذلك في ذهن وشعور الإنسان المسلم
البسيط، وسلّم أمره للملك المزعوم.

من هنا جاءت رواية ابن سعد للحوار الذي دار

بين سلمان الفارسي وعمر بن الخطاب، ومنها نعلم أن عمر قال لسلمان : أملكُ أنا أم خليفة؟.. فقال له سلمان : إن أنت جَبَيْتَ من أرض المسلمين درهماً أو أقل أو أكثر ثم وضعته في غير حقه فأنت ملك غير خليفة، واقتنع عمر بأن صفة "الملك" هي خاصة بالله، وبأن كسرى الذي يدّعيها.. وقيصر الذي يصر عليها، بنوا نظاماً أسس على الظلم الاجتماعي، ونحن نعلم أن الأمر قد حسم في استحسان لقبِيّ : "الخليفة" و "أمير المؤمنين"، ونعلم أنه - أي عمر - قال لأحد أصهاره "كما يروي محمد ابن سيرين" عندما اشتتم منه أنه يريد ميزة من بيت المال: (أردت أن ألقى الله ملكاً خائناً).

والرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ينفي عن نفسه صفة الملك.. يقول ابن مسعود : (أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم رجل يكلمه فأرعد، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: "هون عليك، فلست بملك، إنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد"..).

لكن انظر لهذا الرد المتهافت على قرار تسمية ابن سعود نفسه ملكاً.. ففي دفاع أحد الكتاب يتخذ من قول "عبد العزيز" أن "الملك لله وحده" دليلاً على أن (العاهل "عبد العزيز" بقوله ذلك قد أنكر إطلاق لفظ "الملك" على نفسه .. وبالتالي فإنه ضمناً - ومن باب أولى - قد أنكر إطلاق لفظ "الجلالة" على نفسه، أو هو على الأقل كان قد أنكر ما قد يتبادر إليه الذهن من معاني قد تتضمنها كلمتي "الملك والجلالة" .. إذ أن هاتين الكلمتين - خاصة الأخيرة منهما - إنما تقترن باسمه سبحانه وتعالى).

وهذا دفاع متهافت، لأن "عبد العزيز" هو نفسه الذي أصدر مرسوماً ملكياً بتاريخ ١٠ يناير ١٩٢٦ ، يقضي بتلقيبه بـ "ملك الحجاز" ، وهو الذي أصدر بعد أكثر من عام، وبالتحديد بتاريخ ٦ شوال ١٣٤٥ هـ ، مرسوماً جاء فيه ما نصه : (أن يكون لقبنا من الآن فصاعداً "ملك الحجاز ونجد وملحقاتها" ..) وهو

الذي أصدر في السابع عشر من جمادى الأولى
١٣٥١ هـ ، أمراً ملكياً برقم "٢٧١٦" ، نصّت المادة
الأولى منه على أن (يصبح لقبنا بعد الآن : (ملك
المملكة العربية السعودية..)) بعد هذا كله، أليس من
الاستهتار والاستغفال لعقول المواطنين والقراء، القول
بأن ابن سعود ينكر لقب "الملك"؟!.. فلماذا حاربه
الإخوان إذن؟.. ولماذا لو كان صادقاً لم يمنع الآخرين
من استخدامه؟!..

ولعلم الملك السابق فيصل، أن لفظ "صاحب
الجلالة" و "الجالس على العرش" و "الملك" تخالف
الشرع، فإنه وبعد إزاحة سعود عن الحكم عام
١٩٦٤م، حاول تملق الناس في خطاباته التي كان
يلقيها في المناطق المختلفة من البلاد.. ففي أحد
خطاباته قال : (تكرر على مسمعي لفظ "صاحب
الجلالة" و "الجالس على العرش" وما أشبه ذلك، وإنني
أرجو منكم أيها الإخوة أن تعتبروني أخاً وخادماً في

نفس الوقت، إن الجلالة لله سبحانه وتعالى، وإن العرش هو عرش رب السماوات والأرض، وإن هذه الصفات دخيلة علينا في ديننا.. إنني حينما أسمع كلمة صاحب الجلالة، أو الجالس على العرش، فإنني أتأثر من ذلك أشد التأثر لأنني بشر).. ولو كان صادقاً في هذا القول .. لكان قد خجل من نفسه أن يأمر الصحافة - ولأول مرة في تاريخ البلاد - ليس لإلغاء اللقب الملكي الفاسد، ولكن لإضفاء لقب آخر على زوجته التي سماها "الملكة!!" عفت.

النظام الملكي

من خلال ما ذكر في الصفحات السابقة، يتبين أن الإسلام كان حريصاً على تمييز الحكم الإسلامي عن غيره من الأنظمة، حتى في اختيار اللفظ.. ورأينا كيف أن الإسلام يسير باتجاه مناقض للأنظمة الملكية الكسروية والقيصرية .. فهو لا يعترف بها ولا بمن يتسمّى ملكاً..

ولكن ماذا يقول "آل سعود" عن نظامهم الملكي الوراثي المقيت؟.. وأية صفات عظيمة يطلقونها عليه؟.. وبأي مبرر جعلوه كذلك؟.

في بيان "الوطنيين!" الذي أصدره في ١٢ / ٥ / ١٣٥١ هـ ، والذي طالبوا فيه الملك بتسمية البلاد "المملكة العربية السعودية" وجعلها وراثية.. كانت حجتهم التي كتبوها هي : (الاستقرار والديمومة والثبات، للنظام الحاكم، وحتى يعلم العدو والصدیق أن الملك السعودي موطن الأركان، ثابت الدعائم، لا تزعه العواصف، ولا تنثني عوده الأيام.. وأن ذلك يقوي مركز البلاد الأدبي والمادي).

وهذا كاتب آخر يبرر الملكية المطلقة التي انتهجها "السعوديون"، وكيف أن الملكية الدستورية لا تستقيم في مجتمع الجزيرة العربية بالقول: (إن المملكة العربية "السعودية" أيام نشأتها الأولى كانت مجتمع بدوة ورعي، ومجتمع كهذا لا يمكن أن يقوم فيه إلا

نظام ملكي قوي، لأن العصبية القليلة لم تكن قد تحولت بعد إلى إحساس بالمواطنة، ولم يكن هناك مظهر للوجدان الاجتماعي الشعبي إلا مظهر التمسك بالدين واحترام الشريعة، ولو تصور أي خيالي حالم أن يقيم في هذا المجتمع نظام ملكية دستورية، لا يباشر فيها الملك مسؤولياته، لعاد مجتمع شبه الجزيرة العربية ممزقاً كما كان، ولما استطاع الملك "عبد العزيز" أن يحقق معجزته الكبرى).

إنّ هذا القول مردود على صاحبه، لأن وجود المجتمع البدوي .. لا يبرّر تجاوز أهمّ مبادئ الإسلام السياسية، وجعله نظاماً ملكياً مطلقاً وراثياً استبدادياً، كما أن الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم وخلفاءه الراشدين، لم يعلنوا أنفسهم ملوكاً بحجّة أن مجتمعاتهم بدوية .. ثم ألا يكفي "أحمد عسّه" الوجدان الاجتماعي الشعبي المشترك والقائم على أساس الدين؟.. إن ذلك هو أساس المواطنة، وليس تقديس قطعة الأرض.. إن

الفكر المشترك والعقيدة المشتركة هي قاعدة المواطنة الصالحة.. والحقيقة أن الدين الحقيقي لم يكن له وجود من أساسه في فكر هؤلاء.

وهذا كاتب سعودي آخر يصر على أن الملكية "السعودية" المطلقة هي ملكية دستورية، مخالفاً في ذلك "أحمد عسّه"، ومخالفاً للحقيقة التي يؤكدتها الحوقيون، يقول هذا الكاتب:

(إن الملكية الدستورية.. تختلف عن الملكية المطلقة في أنه بينما تكون السلطة للملك وحده في الثانية، نجد أن "الشعب" هو صاحب السلطة في نظام الملكية الدستورية.

ولئن كان الحكم الملكي الدستوري يجعل على رأس الدولة ملكاً وراثياً، شأنه في ذلك شأن الحكم الملكي المطلق ، غير أنه يختلف عن هذا لأن الشعب يبقى صاحب السيادة، يباشرها عن طريق برلمان

"ومجلس شورى" يمثّله.

ونحن إذا عرفنا أنه في المملكة العربية "السعودية"، يتواجد مجلسان رئيسيان يشتركان في الحكم والإدارة، وهما مجلس الوزراء ومجلس الشورى، فإنه يتأكد لنا أن النظام الملكي السعودي، إنما هو نظام ملكي دستوري).. شر البلية ما يضحك!!.

وفي موقع آخر يقول: (يمكن لنا أن نؤكد على أننا لم نتردد في أن نصف النظام الملكي السعودي بأنه نظام ملكي مقيد، لأن هناك مبدئين أساسيين يقيدان الملك المعظم في أحكامه :

"أ" - الشريعة الإسلامية .

"ب" - الشورى "رأي الأمة والشعب").

ولسنا هنا في معرض رد تفصيلي على ما ذكره "الدحلان" إلا أننا يمكننا القول :

- أن النظام السعودي ملكي مطلق مستبد، وأنه

ليس هناك أي دور حقيقي على الصعيد السياسي لمجلس الوزراء، كما أن مجلس الشورى ليس موجوداً مطلقاً من أساسه.

- أن الذي يتقيد بأحكام الشرع عليه أن يلتزم به في كل أمر. والملكية المطلقة كما الملكية الدستورية لا يقرها الإسلام.

وحين يعدد "دحلان" ميزات الحكم الملكي، يقول باستهجان وسماجة بالغتين:

١ - من المزايا الرئيسية التي يحققها النظام الملكي، توفير الاستقرار في الدولة، وعدم تعرضها لهزات في مدد متقاربة على النحو الذي يشاهد في الأنظمة الجمهورية.. (تأمل!!).

إن الملكية تحقق نوعاً من الثبات والاستقرار السياسي في الداخل، لأنها نظام دائم.. فالملك يتولى العرش لمدى الحياة.

٢ - وفق ما سبق يستطيع الملك أن يلعب دوراً هاماً في النظم البرلمانية، لتحقيق التوازن بين السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية، فيقف إلى جانب السلطة التنفيذية إذا كانت محل اعتداء من البرلمان.

٣ - وأخيراً.. فإن شخصية الملك تستطيع أن تؤدي أجل الخدمات للبلاد في توطيد العلاقات مع الدول الأخرى (ضماناً للعمالة)، وذلك بفضل الاتصالات الشخصية مع رؤسائها والزيارات التي يقوم بها والتي تترك أحسن الأثر).

ويبدو من استعراض المقتطفات من الكتب المذكورة ، أن هناك شبه اتفاق بين مؤيدي النظام الملكي على أن ديمومة النظام الملكي واستقراره هما ميزتان تجعلانه من أفضل الأنظمة .. وهذه النظرة لا تتفق مع الشرع.. لأن الإسلام حين حدد كيفية وصول الحاكم إلى الخلافة أو الإمامة بموافقة الجمهور، وأعطى للناس حقوقهم في مراقبة الحاكم وعزله حين

ينحرف، إنما أرسى أفضل قاعدة لاستقرار الحكم،
فالحكم المستقر هو الحكم القائم على رضا الناس.. أما
النظام الملكي السعودي فإنه يفرض استقراراً ظاهرياً
وهشاً مصدره القوة والنار.. وحكم النار والحديد لا
يمكن أن يستمر.. وهذا يتوافق مع الأفكار
الديكتاتورية المكيفيلية التي ترى أن الاستقرار يتم
بالقوة ويهدف تسلط الحاكمين وديمومة حكمهم..
ونعتقد أن الديمومة والثبات الذي تعزف على وتره
كتابات الموالين للحكم السعودي إنما انتزعت من
كتابات مكيفللي حول الملكيات الوراثية.. حيث يقول:

(ففي المقام الأول، تكون مهمة الاحتفاظ بالملكيات
الوراثية حيث تعود الناس على أسرة حاكمة، أقل
صعوبة من الاحتفاظ بالملكية الجديدة.. وإذا لم
يقترف الأمير من الرذائل ما يربو على المعقول،
فيحمل الناس على كراهيته، فإن المنطق بالنسبة
لرعاياه أن يكونوا شديدي التعلق به، فينسبون على

حكمه الطويل ذكريات البدع وأسباب التجديد، إذ أن التبدل في الحكم يترك الطريق ممهداً دائماً لوقوع تبدل آخر).. (وهل هناك موبقات أكثر من تلك التي يرتكبها آل سعود).

ولاشك أن معتقداتنا نحن كمسلمين تخالف هذه النظرة، وبالتحديد تخالف الأسلوب القسري في الحكم والوراثة من أجل تطويل أمد العائلة الحاكمة .. فنظام الحكم الإسلامي يختلف عن أنظمة الحكم الملكية، فما يورث الحكم والسلطان في الإسلام وإنما يترك للجماعة أن تختار للحكم من تراه أصلح الناس له وأقدرهم عليه.

لقد ارتبطت الملكية بالفساد، واستقر أمر العالم كله قبل أن يجيء الإسلام على أن يكون نظام الحكم الملكي وراثياً يتوارثه الأبناء عن الآباء، وأصبحت لهذا النظام سمات وعلامات تميزه عن غيره من أنظمة الحكم، فهو يتميز - فضلاً عن الوراثة -

بتعالي الملوك واستعلائهم المستمر على الرعايا،
ويتميز بما يحيط الملوك به أنفسهم من الترف الذي
يهيئ لسقوط الهمم، وفساد الأخلاق، وتفشي
المنكرات، ويتميز أخيراً بأنه يؤدي بطبيعته إلى الفساد
العام.

ولما كان هدف الإسلام هو الإصلاح والتسوية بين
الناس، وتوفير الخير وإشاعته بينهم، فقد كره لهم
التعالي كالمملوك، وحرّم عليهم أن يريدوا الاستعلاء
كما حرّم عليهم كل ما يؤدي إلى الفساد، ونبه
المسلمين إلى أن هذه الصفات ليست من صفات
المتقين، ﴿ تَلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ
عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾
(القصص: ٨٣).

ولأن نظام الحكم الملكي كان عندما جاء الإسلام
متميزاً بالعلو والفساد والوراثة، فقد كره المسلمون
أن يسموا أنفسهم ملوكاً، وكان أول من كره ذلك هو

الرسول "صلى الله عليه وآله وسلم"، وجرى على ذلك خلفاؤه من بعده، حتى إذا أخذ معاوية البيعة لابنه يزيد، أخذ أصحاب الرسول والتابعون يرمونه خاصة وبني أمية عامة بأنهم حولوا الحكم الإسلامي إلى ملك عضوض، وإلى حكومة كسروية أو هرقلية، نسبة إلى كسرى ملك الفرس، وهرقل ملك الروم].

إن للنظام الملكي مفاصد كثيرة منها:

أولاً: صفة الاستبداد بالرأي والحكم، فقد جاء الإسلام بالشورى التي تقتضي اختيار الأمة الإمام ضمن الموازين والشروط الإسلامية، وعزله إذا ما انحرف عن الجادة المستقيمة وهذا يتنافى مع ما استقر عليه نظام الحكم الملكي السعودي المطلق والموروث، لأن الملك.. وبصفته الملوكية والاستعلائية هذه، يعتبر نفسه الأعلم والأفهم والأذكى، وبالتالي سيبعد الرعية "الجماهير" عن ممارسة دورها السياسي في مراقبته - فضلاً عن اختياره-، وتصحيح انحرافاته، وسيفرض

رأيه على الآخرين، فيكون مستتبداً برأيه وتؤول البلاد إلى الفساد.

وقد أعطى الإسلام للأمة حق النقد والمحاسبة والمراقبة للحاكم "الشرعي"، أما الحاكم غير الشرعي فهو لا يقبل النقد كالمملوك الفاسدين الذين يعلنون في الأرض ويفسدون فيها.. (والحاكم هنا هو الذى يحكم بين الناس لا الذى يحكمهم).

وحين أقرّ الشارع جلّ وعلا مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإنه بذلك أعطى صلاحية كبيرة لمراقبة الحكام وتقويم انحرافاتهم.. فرئيس الدولة ليس ذاتاً مصونة فوق الشرع والحساب.. وواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للحكام وغيرهم، لا يستقيم أمر المسلمين إلا به..

جاء في الحديث: (إذا رأى الناس الظالم فلم يأخذوا على يده أوشك أن يعمهم الله بعقابه).. وقال صلى الله

عليه وآله وسلم: (أفضل الشهداء حمزة، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله).

وعن حذيفة بن اليمان قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (والذي نفسي بيده لتأمرنّ بالمعروف ولتنتهونّ عن المنكر أو ليوشكن الله يبعث عليكم عذاباً منه، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم).

وعن أبي سعيد الخدري قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وهذا أضعف الإيمان).

وقال عليه السلام: (إذا رأيت أمتي تهاب الظالم أن تقول له: إنك ظالم فقد تودع منهم).. وقال: (لا يمنع أحدكم هيبة الناس أن يقول الحق إذا رآه أو سمعه).

إن هذه الأحاديث توجب على المسلمين فيما

توجب، أن يراقبوا الحكام ويقوموا فسادهم وانحرافهم.. وقد بينت الأحاديث النبوية الشريفة أن أولى الوسائل لتقويم الحاكمين "الشرعيين" هي النصيحة .. فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (الدين النصيحة ، قلنا: لمن ؟.. قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم) رواه مسلم.

وإذا لم يفد النصيح فمن حق الأمة استعمال القوة اللازمة لتقويمه وردعه عن الظلم وعن سائر مظاهر الانحراف والاعوجاج، فقد جاء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (والله لتأمرنّ بالمعروف ولتنتهونّ عن المنكر، ولتأخذنّ على يد الظالم ولتأطرنه على الحق أطراً، ولتقصرنه على الحق قصراً ، أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ، ثم ليلعنكم كما لعنهم).. رواه أبو داود.

وفي حديث آخر يقول عليه السلام : (إن الناس إذا

رأوا الظالم فلم يأخذوا على يده أوشك أن يعمهم الله
بعقاب منه).

(إن من حق الأفراد في ظل دولة الإسلام، مراقبة
رئيس الدولة وسائر الولاة في أعمالهم وتصرفاتهم
التي تخص شؤون الدولة، وتستمد الأمة هذا الحق من
طبيعة علاقاتها برئيس الدولة، فهي علاقة وكالة، فهي
التي اختارته، ومن حق الموكل في الشريعة الإسلامية
أن يراقب وكيله ليطمئن على حسن قيامه فيما وكل
فيه، وحق المراقبة يقرره الإسلام ويريد به تقويم
رئيس الدولة إذا انحرف عن النهج الشرعي القويم).

وقد كان تدخل أفراد الشعب في عمل الحكام أمراً
معروفاً شائعاً ومألوفاً لدى جمهور الشعب عامة في
صدر الإسلام، بل كان واقعاً بالفعل، فكانت المراقبة
للسلطة والنقد وحرية إبداء الرأي في مجال الحكم
والمحاسبة للحكام مالياً وسياسياً، مبادئ دستورية
معترفاً بها ومنصوصاً عليها في الكتاب والسنة،

وعرفاً من الأعراف السياسية السارية يومئذ.

إن التسليم النظري لهذه المبادئ بقي مستمراً لدى المسلمين خاصتهم وعامتهم، ولكن التطبيق العملي لها أخذ في الضعف، ابتداءً من العصر الأموي، وكاد يهمل فيما بعد من جانب الحكام الذين أصبحوا ملوكاً وسلطين على الطريقة الكسروية القيصرية).

بناء على هذا .. أين يقف الحكم الوهابي؟!.

فإذا كان الإسلام لم يكتف بأن يكون الحاكم مختاراً من الناس فيتركوه علي حاله يعبث بالحكم..

كما لم يكتف بتحديد المواصفات الصالحة للحكم الإسلامي والتي تردعه عن الانحراف، ليكل أمور العباد إليه دون رقيب.. كما لم يكتف بوضع قانون الشورى، ليمنع الاستبداد بالحكم.. ولم يكتف برسم السياسة العامة الداخلية والخارجية للدولة الإسلامية حتى يسير عليها الحاكم الصالح.. بل وفوق كل هذا

أعطي صلاحيات واسعة للأمة تصل إلى حد عزله،
بل وقتله إذا زاد جرمه واستحق القتل.

وقال عمر: "من لي برعية إذا انحرف فيهم الحاكم
قتلوه"... قيل.. هلاً قلت خلعه يا أمير المؤمنين؟..
قال: " لا.. القتل أنكل لمن بعده..".

إذا لاحظنا كل هذا، فإن من الطبيعي القول أن
الحكم الوهابي، الذي يسير بدون ضوابط، من أشد
الأنظمة استبدادية.

*فلا الحاكم جاء بإجماع لآراء الأمة.. ولا هو
يتمتع بالموصفات واللياقات المطلوبة.

*ولا هو يسير في سياساته بهدي من الكتاب
الكريم.. ولا هو يعتمد على شورى، فيقدر آراء
الأمة.

فهل بعد هذا يتوقع منه أن يعطي الأمة حقها في
نقده .. وعزله ، أو محاسبته والضغط عليه !؟

لقد قرر الحاكم ومنذ زمن طويل أن "الشيوخ أبخص" وأن الشعب ما هو إلا رعا ع لا رأى لهم ولا كلمة .. وهو يعتقد بأن شرعيته لا تتبع إلا من القوة والوراثة التي أوصلته إلى الحكم، وليس لأحد من الرعية بعدئذ حق في الاقتراح، فضلاً عن الانتقاد والتوجيه .. وكل هذا من مساوئ النظام الملكي الفاسد.

ثانياً : ومن مساوئ النظام الملكي، فصل الدين عن السياسة عملياً، فرغم أن علماء الدين لا يعتقدون بفصل الدين عن السياسة وأمور المجتمع نظرياً، فإن الأمور تسير نحو الانفصال التام، إن لم يكن حدث بالفعل.

فالغالبية العظمى من رجال الدين والمشايخ، تمارس دورها في المجتمع من التوعية والإرشاد، دون المساس بالقضايا السياسية والاجتماعية، وكأنها شيء محرم .. واقتصرت على الأمور العبادية

المحضة المتعلقة بين الخالق وعبده، بل وجردت كل الأهداف السياسية من الأمور العبادية كالصلاة والصوم والحج.

لماذا وقع هذا الانفصام ؟

لاشك أن الانفصام قد وقع منذ زمن غابر، فأدى إلى تخلف المسلمين كثيراً، كما أدى إلى الانفصام بين الحاكم والعلماء، وبين العلماء والناس الذين لم يجدوا في رجال الدين أنهم يؤدون الواجب في قيادة الجماهير ومناهضة الحاكمين الفاسدين.

لكن مع هذا، فإن علماء الدين الوهابي يكادون أن يشكلوا نمطاً مختلفاً عن العلماء الآخرين.. فهم قد استغلهم آل سعود في أغراضهم الدنيوية ثم استغنوا عنهم.. ولم يبق لهم من الهيمنة والسيطرة وإدارة التوجيه سوى الجزء القليل، والتافة جداً.

فبعد إعلان الملكية "السعودية" وإقرار نظام

التوارث في الحكم، أصبح العلماء في آخر القافلة المؤثرة، وأصبح دورهم هو دور المطبل للنظام، الذي يسبغ عليه الشرعية، ويعطل بالتالي مسيرة التحرك ضدّه.. وقد ارتضوا لأنفسهم هذا الدور المنزوي عن كل ما يهم المجتمع وقضاياها.

فأصبحت السياسة يديرها بالتوارث أفراد الأسرة الحاكمة بكل مساوئهم وفسادهم وبعدهم عن الرسالة، وهم يهتمون بالشؤون الدينية المحضة التي تجرد كل الأهداف السياسية والاجتماعية للعبادات الإسلامية.. فصار الفقهاء والعلماء لا يعون لغة الملك - ولا يطلب منهم أن يعوها، وصارت القيادة السياسية في واد.. والإسلام في واد آخر، وتحققت بذلك عملياً فكرة الفصل بين الإسلام كدين ومنهج ونظام للحياة من جهة، والقيادة السياسية من جهة، أي: أصبحت دولة علمانية، والسبب؟.. فكرة العائلة الحاكمة، والنزعة الملوكية والوراثية المقيتة.

ثالثاً: إن العائلة الحاكمة هدفها الرئيسي مصالحها .. واستمرار هيمنتها ونفوذها، قبل اهتمامها بالمواطنين ومصالحهم.. وحقوقهم، بل هي لا تعير هذا الجانب أهمية إلا بالمقدار الذي لا يهدد إغفاله خطراً عليها.

وحين تقدم الأسرة مصالحها السياسية والاقتصادية كطبقة متميزة عن المجتمع، تزداد المظالم والتعديات على حقوق المسلمين، اقتصادياً.. كنهب الثروات والسرقة من بيت مال المسلمين خزينة الدولة، وسياسياً.. باستخدام كل وسائل القهر والإذلال وجر البلاد إلى مزلق المحاباة والتقديس وتسليم أمور البلاد إلى المدّاحين وحنثالات المجتمع ممن لا يفقهون إلا التسبيح بحمد النظام ورؤوسه الفاسدة.. وبهذا يستبعد مخلصو الأمة والغيورون على مصالحها، فهؤلاء لا محلّ لهم في دائرة النظام.

ونحن لا ينتابنا الشك في أن مصالح الطبقة

الحاكمة التي جاءت إلى سدة الحكم بالقوة والقهر،
وبكل الوسائل التي لا يقرها دين أو عقل، والتي ترى
أن مصالحها هي الأهم، تتناقض مع المصلحة العامة
للمسلمين.

رابعاً : أن الأنظمة الملكية المطلقة أسرع من
غيرها من الأنظمة التي لا تحكم بأمر الله في التبعية
للأجانب.. لأن النظام الملكي الذي لا يستند إلى رضا
الجمهور، ولا يأخذ رأيهم ويشاورهم ، والذي يفرض
عليهم القوانين التي ما أنزل الله بها من سلطان.. هذا
النظام يجد نفسه - بسبب هذا النهج الاستبدادي - في
تصادم وصراع دائم مع الجماهير.. والذي بسبب
خوفه منها يسعى إلى عقد تحالفات مع القوى العظمى
لحمايته وتعزيز مواقعه، والقوى العظمى لا تفعل ذلك
بدون مقابل، وإنما تفرض شروطاً سياسية واقتصادية
عليه .. وبالتالي يصح القول أن النظام الوهابي
وحلفاءه الأجانب من القوى العظمى يتآمرون على

الشعب لسلب إرادته وإيقائه ذليلاً منهوب الثروات،
جامد العقل، معطل القوى.

وهذا ما توضحه مسيرة الحكم الوهابي منذ استلابه
الحكم، فقد كان تابعاً لانجلترا التي دعمته بالسلاح
والطائرات والمال حين ثار "الإخوان" وحين انتفض
"ابن رفاذه"، وكذلك حين فسخت عسير بيعتها للحاكم
الظالم.. وتحولت التبعية بعد غروب عصر
الامبراطورية العجوز إلى أمريكا التي تدعم الأسرة
اليوم بكل ما تحتاجه مقابل تأمين مصالحها الاقتصادية
والسياسية.. والأخطر أنها توظفها الآن لتدمير الدين
الإسلامي كما أسلفنا.

إن أهم عنصر يحكم العلاقات "السعودية" -
الأمريكية، هو مبدأ الحماية للنظام السعودي.

كتب "دانيال برجين" عضو مشروع أبحاث الطاقة
القومية بجامعة هارفارد الأمريكية هذه الملاحظة في

مقال صدر عن مجلة النيويورك تايمز في
١٩٧٨/٦/٤ م ما يلي:

(هناك على الدوام احتمالات أن يطرأ حادث
طبيعي أو تخريب للمنشآت النفطية في الخليج أو في
المناطق الخليجية، كما أن خطر التدخل السوفياتي
وارد تماماً إثر اتساع رقعة الصراع العربي -
الإسرائيلي ، في أي وقت، بالإضافة إلى احتمال قيام
صراع بين "السعودية" وقوى محلية أخرى في المنطقة
- وبالأخص منها العراق وإيران - ويبقى من المهم
أن نأخذ بالاعتبار أي تحول فكري أو سياسي في
المنطقة، وهذا خطر حقيقي جداً يرغب الكثيرون
بإغفاله، وهو خطر الانقلاب العسكري ووصول قوى
راديكالية إلى الحكم).

ويتضح من سياق التصريح أن تخوف السياسة
الأمريكية من الاحتمال الكبير لتغير الحكم الوهابي في
الجزيرة أمر جدي، ومثل هذا التخوف ينتاب أنصار

إسرائيل في الإدارة الأمريكية قبل غيرهم، بسبب الدور "التأمري" الذي يلعبه النظام الوهابي في ترتيب أوراق الصراع العربي - الصهيوني، لتأمين المصالح الحيوية لأمريكا والصهيونية في المنطقة، فحينما أثّرت أيام الرئيس كارتر أهمية إرسال ستين طائرة من طراز "فانتوم ١٥" المتطورة إلى "السعودية"، وقف "موريس إمتباي" رئيس الهيئة التنفيذية للجنة العلاقات الأمريكية (الإسرائيلية) أمام الكونجرس الأمريكي في شهر مايو عام ١٩٧٨ قائلاً:

"إن النظام السعودي هو عبارة عن نظام ملكي إقطاعي غير مستقر، وإن تغيير هذا النظام مرجح في ليلة وضحاها!".

وفي ظل هذا المستقبل الغير مستقر الذي يواجهه "السعوديين"، تبرز أهمية مبدأ الحماية التي يمكن أن يوفرها الغرب وأمريكا بالخصوص لعرشهم المهتز. ومرة أخرى يعقب "تلمان" عضو لجنة العلاقات

الخارجية في مجلس الشيوخ الأمريكي قائلاً : "إن القادة "السعوديين" يعتبرون الولايات المتحدة الحامي الضروري ضد الانقلابات أو قيام خطر عدوان خارجي عليهم".

ولم تتحفظ صحيفة الواشنطن الأمريكية المتنفذة على حقيقة هذا الأمر في مقال افتتاحي كتبه يوم ٢٧ مايو ١٩٨١ قائلة : "الحكومة "السعودية" ترغب دائماً أن تلفت أنظار الدول الغربية إلى أهمية بقائها في السلطة من أجل ضمان استمرار تدفق المصالح الغربية في "السعودية".

ومثل هذه التصريحات لا تحتاج إلى تفسير أكثر، فاحتمال الثورة الشعبية والانقلاب أمر وارد جداً، ولعل الحكام "السعوديين" أكثر إدراكاً لمثل هذا الخطر من غيرهم. وهناك شواهد قريبة تثبت بؤار هذا التصعيد "حادثة الحرم.. العصيانات العسكرية.. انتفاضة المنطقة الشرقية" .. إلى آخر السلسلة.

وفي أحد اجتماعات مجلس الشيوخ الأمريكي، قال السيناتور الأمريكي "كيس" من ولاية نيوجرسي الأمريكية ما نصه:

("السعودية" تفهم أن ضمان مصالحها يعتمد كلية على قوة إسرائيل في المنطقة، وحجم الدعم الأمريكي لضمان هذه القوة، لأن هذا النظام سوف يمسح من الوجود بمجرد أن تتعطل إمكانية أمريكا في التدخل لإنقاذه).

خامساً: إن النظام الملكي الوهابي المطلق، يهدم أهم ركن في الحكم الإسلامي وهو مبدأ الشورى.. قال تعالى: ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾ .. وقال: ﴿فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر، فإذا عزم فتوكل على الله﴾.

(ولقد فرض الله الشورى على المسلمين وجعلها عماداً لحياتهم العامة، ولو كانت الحكومة الإسلامية

حكومة ثيوقراطية لما كانت الشورى، ولما ألزم الله رسوله أن يشاورهم في الأمر، وهو في غنى عن مشاورة البشر بالوحي الإلهي ، ولما ألزم الرسول نفسه نتائج المشورة.. كما فعل في غزوة بدر وغزوة أحد وغيرهما من المواقف، وإنما ألزم الله رسوله المشورة ليضع للناس قواعد الشورى، وألزم الرسول نفسه بنتائج المشورة ليسن لمن بعده أن يلتزم بنتائجها ويتقيد بها.

ولو كانت الحكومة الإسلامية ثيوقراطية لكان للخليفة أن يفعل ما يشاء، ويترك ما يشاء، ولكن الخليفة وكل حاكم إسلامي مقيد، فيما ورد فيه نص، بنصوص القرآن والسنة، وفيما لم يرد فيه نص بما تسفر عنه الشورى).

إن من حق الأفراد في دولة الإسلام - بعد حق انتخاب رئيس الدولة - حق المشاورة، وهو في الحقيقة امتداد لحق الأمة في اختيار منفذ أمرها، فما

دامت هي التي تختاره وهو وكيلها في إدارة شؤونها، فمن حقها عليه أن يشاورها، وإذا كان الخطاب في آيات الشورى موجّهاً إلى الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم على جلاله قدره وعظيم منزلته، فوجوب المشاورة على غيره من الحكام أوجب وألزم. وعلى ما قلناه تدل أقوال الفقهاء والمفسرين.

١ - " لا غنى لولي الأمر عن المشاورة فإن الله تعالى أمر بها نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم " رأى جميع الفقهاء.

٢ - "إنما أمر الله نبيّه بمشاورة أصحابه مما أمره بمشاورتهم فيه تعريفاً منه أمته ليقنتوا به في ذلك" تفسير الطبري، ج ٤ ، ص ٩٤ .

٣ - يؤيده في ذلك تفسير القرطبي، ج ٤ ، ص ٢٥٠ .

٤ - كذلك الرّازي ، ج ٩ ، ص ٦٦ يقول :

"قال الحسن وسفيان بن عيينة : إنما أمر بذلك -
أي أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلّم المشاورة -
ليفتدي به غيره في المشاورة ويصير سنة في أمته".

ومما يؤكّد حقّ المشاورة للأمة على حكامها أن
النبي صلى الله عليه وسلم وآله على عظيم قدره
ومنزله وتأيبه بالوحي، كان كثير المشاورة
لأصحابه، شاورهم يوم بدر في الخروج للقتال،
وشاورهم يوم أحد أبقى في المدينة أم يخرج للعدو،
وأشار عليه "الحباب بن المنذر" يوم بدر بالنزول على
الماء فقبل منه، وأشار عليه "السّعدان" .. "سعد بن
معاذ وسعد بن عباد" يوم الخندق بترك مصالحة
العدو على بعض ثمار المدينة فقبل منهما "الرازبي،
ج ، ص ٦٧".

وهكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله
كثير المشاورة للجماعة الإسلامية حتى ذكر في كتب
الفقه أنه لم يكن أحد أكثر مشورة لأصحابه من رسول

الله صلى الله عليه وسلم وآله.

ونظراً لثبوت حق الأمة في المشاورة، صرّح الفقهاء بأن ترك هذا الحق من قبل القائم بشؤون الدولة موجب لعزله في الاسلام، فقد جاء في تفسير القرطبي "قال ابن عطية : والشورى من قواعد الشريعة وعزائم الأحكام، ومن لا يستشير أهل العلم والدين فعزله واجب" ج ٤، ص ٢٤٩. فلا بقاء إذن لحاكم مستبد في دولة الإسلام).

إن الحكم الوهابي القائم، تناسى هذا المبدأ الهام، وأغفل العمل به، بحجة أن الشعب ليس مهيباً لذلك، وأن "آل سعود" في صدد تهيئة الشعب لممارسة الشورى.. وهكذا وبكل سهولة يقزّمون عقول المجتمع ويجعلون من أنفسهم أوصياء عليه.

الأدلة القطعية على عمالة الدولة الوهابية

عن مذكرات حاييم وايزمان أول رئيس لدولة الكيان الصهيوني في فلسطين

قال: (إنشاء الكيان السعودي هو مشروع بريطانيا الأول.. والمشروع الثاني من بعده إنشاء الكيان الصهيوني بواسطته)، ويضيف نقلاً عن تشرشل الرئيس الأسبق للحكومة البريطانية، والذي كان له دور أساسي وبارز في قيام الكيان الوهابي السعودي، والكيان العنصرى الصهيوني: (فى ١١/٣/١٩٣٢ قال تشرشل: أريدك أن تعلم يا وايزمان أننى وضعت مشروعاً لكم ينفذ بعد نهاية الحرب (الحرب العالمية الثانية) يبدأ بأن أرى ابن سعود سيداً على الشرق الأوسط وكبير كبرائه، على شرط أن يتفق معكم أولاً، ومتى قام هذا المشروع، عليكم أن تأخذوا منه ما

أمكن وسنساعدكم فى ذلك، وعللك كتمان هذا السر، ولكن انقله إلى روزفلت، وليس هناك شىء يستحيل تحقيقه عندما أعمل لأجله أنا، وروزفلت رئيس الولايات المتحدة الأمريكية).

هكذا أسس الإنجليز مشروع دولة آل سعود ومكنوهم من جزيرة العرب حيث الحرمين الشريفين وقبله المسلمين، كخطوة مرحلية لإقامة الدولة الصهيونية وتمكينها من القدس ثالث الحرمين وأولى القبلتين والأرض التى بارك الله حولها، لأسباب لا تخفى على أحد، وهى إعاقة قيام الدولة العربية الموحدة كمشروع أساس لإقامة دولة الإسلام العالمية. ولا زال الأمر على حاله بالرغم من المتغيرات الدولية وأهمها تحول مركز القيادة من بريطانيا إلى أمريكا وبروز الأفكار البراجماتية الأنجلو سكسونية التى تحرك السياسة الأمريكية، والتى بدأت تعلم تمام العلم انتهاء مهمة النظام السعودى بعد أن تحققت

جميع الأغراض التي أسس لأجلها، وهى تدمير المشروع القومى، وتشويه الدين الإسلامى، وإحكام قبضتها على المنطقة، ولم تعد قادرة على تحمل استهجان الرأى العام العالمى والمجتمع الدولى المطالب بضرورة تغيير هذا النظام الجاهلى بعد أن تمكنت الصهيونية من فلسطين وأهلها، تفعل بها وبهم ما تشاء دون رقيب أو حسيب، والخطر بات يهدد الحرمين الشريفين والصامت على الحق لا شك أنه شيطان أخرس.

يقول جون فيلبى فى كتابه (٤٠ عاماً فى البحرية):
(إن قضية فلسطين لم تكن تبدو (لآل سعود) بأنها تستحق تعريض العلاقات الممتازة التى تربطهم مع بريطانيا وأمريكا) (وكان أساس الاتفاق لإنشاء الوجود السعودى أن تقوم سياسة آل سعود على عدم تدخلهم بأى شكل من الأشكال ضد مصالح بريطانيا وأمريكا واليهود فى البلاد العربية والإسلامية وأهمها

فلسطين)، والحق لا بد أن يقال فقد حزن عبد العزيز حزناً شديداً في أعقاب هزيمة الجيوش العربية في فلسطين، وقد كشف جون فيلبي سر هذا الحزن الشديد قائلاً: (كان انتقال الجزء العربي الذي احتفظ به من فلسطين إلى مملكة الأردن أمراً أكثر مما يستطيع عبد العزيز استساغته.. لأنه كان يريد ضمه إليه أو إلى الكيان الصهيوني.. (ولأنها إرادة الإنجليز فلم يستطع معارضتها) ولكنه عارض بشدة إنشاء حكومة عموم فلسطين في غزة التي كانت تحت سيطرة الحكومة المصرية) هذا هو الموقف المتخاذل لآل سعود، ولكن التاريخ يسجل بطولة الكتيبة العربية التي خرجت أفراداً من الجزيرة العربية سراً واستشهد معظمها.

ولمعرفة من هو جون فيلبي ننقل لكم ما يلي من وثائق المخابرات البريطانية وكتاب (تاريخ آل سعود):

(بعد مصرع قائد جيش آل سعود الذي أسسه

الإنجليز النقيب شكسبير على أيدي قوات ابن الرشيد، أمرت المخابرات البريطانية الحاكم الفعلي لمنطقة الخليج العربي والجزيرة (السير بيرسى كوكس اليهودي) بدعم آل سعود وتعيين سكرتيره الخاص العقيد جون فيلبي خلفاً للنقيب شكسبير، وتسليمه المسؤولية للعمل بكل وسيلة تمكنه من دحر خصوم ابن سعود).. (وقد تفرغ فيلبي للعمل على إقامة مشروع بريطانيا الأول في المنطقة، وإعادة تنظيم الجيش السعودي وتمويله بالأموال والأسلحة والذخائر، وإعادة إحياء الأفكار الجاهلية الوهابية بعد أن تظاهر جون فيلبي باعترافها وأطلق على نفسه اسم محمد بن عبد الله فيلبي، وبدأ في جولات لإيجاد أنصار له في كل بلدة وقبيلة وقرية في أنحاء جزيرة العرب، وإيجاد عملاء لتزويده بالمعلومات عن خصومه من أحرار الجزيرة، مع بث أفكار الدعوة الجاهلية الوهابية، وبث الإشاعات المرجفة والتركيز

على كسب العديد من الوجهاء ورجال الدين الأدعياء والأغبياء، وسارت الأمور بقيادته على أحسن ما تريده الحكومة البريطانية الأمر الذي نال عليه الثناء الكثير، خاصة بعد أن تمكن من إسقاط حكم ابن الرشيد في حائل، وإسقاط عرش الحسين بن علي في الحجاز، بل إنه أمّ المسلمين في صلاة الفجر عند فتح مكة، وأنشأ إمارة شرق الأردن ونقل لها عبد الله ابن الحسين، وكلف الإنجليز أشخاصاً غيره لمراقبة وتوجيه عبد الله وتنظيم الإمارة الجديدة، إلا أن هؤلاء الأشخاص لم يستطيعوا ترويض عبد الله بن الحسين الذي اعتقد أنه أمير حقاً يمكنه التحرك حسب إرادته بعيداً عن الخط المرسوم له، وبدأ في اتخاذ الأردن قاعدة لإعادة الهجوم لاستعادة العرش الهاشمي في الحجاز الذي منحه الإنجليز لآل سعود، ومن أجل ذلك رأت الحكومة البريطانية ضرورة ذهاب فيلبي إلى الأردن في مهمة ترويضية، ويقول جون فيلبي في

ذلك: (بعد شهرين من وصولي إلى الأردن قمت بجولة في أنحاء فلسطين، وكانت الثورة الفلسطينية في بدايتها، ويعيش الإنجليز في قلق منها، فحاول بعضهم توسيط الأمير عبد الله لدى الثوار الفلسطينيين بإيقاف الثورة، فحبذت الفكرة لعلمي أن عبد الله سيفشل في وساطته لعدم نفوذه بين الفلسطينيين، وبالتالي سيكون الجو مهيئاً لصديقنا العزيز عبد العزيز فتتجح وساطته وترتفع أسهمه لدى الإنجليز، وهذا ما تم فعلاً بعد فشل عبد الله في وساطته، اقترحت توسيط عبد العزيز الذي أقسم لثوار فلسطين بأن أصدقاءنا الإنكليز تعهدوا بحل القضية لصالح الفلسطينيين وأنه يتحمل مسؤولية هذا العهد، وقد نقل لهم ذلك ابنه فيصل (الذي أصبح ملكاً فيما بعد)، وقد كان لنجاح هذه الوساطة صداها لدى الإنجليز واليهود، وكانت المنعطف الأكبر في تاريخ فلسطين، وعزز ذلك النجاح الباهر كافة آرائي بعبد العزيز أمام رؤسائي بل وحتى خصومي الذين ما

زال بعضهم يؤيد الهاشميين ويعتبرهم أصلح للمصالح
الغربية من آل سعود).

ويضيف فيلبي: (أثناء رحلتى عرجت على تل
أبيب وقابلت ديفيد بن جوريون الذى كان فرحاً لنجاح
وساطة آل سعود التى أوقفت الثورة الفلسطينية، إلا
أنه أبدى قلقه عن ابتعادى عن عبد العزيز، فقلت لبن
جوريون إننا لم نعد نخشى على عبد العزيز آل
سعود، فلديه من الحصانة ما يكفى لتطعيمى
وتطعيمك،.. كما أن ابتعادى هذه الأيام لصالحه من
أجل ترويض خصومه فى شرق الأردن).

ولتطمين بن جوريون قلت له: (قبل أيام أخرجت
جيش الإخوان الوهابيين لتأديب عبد الله حتى هددوا
كيانه، وعندما استتجد بى أوعزت لعبد العزيز بإيقاف
جيش الإخوان قبل أن يدخلوا الأردن، وقد وجدوا
صعوبة فى صد هذا الجيش البدوى الشرس،
فاضطرت إلى إعطاء الأمر للطائرات الحربية
البريطانية المرابطة فى الأردن لتأديبهم، وبعد ذلك

تخلى عبد الله عن أفكاره الوطنية والقومية فى غزو الحجاز واكتفى بما قسم الله له، ويستطرد جون فيلبى فى مذكراته قائلاً: (عندما قررت الذهاب إلى الحجاز فى مهمة حج لقضاء حاجة، حملنى بن جوريون رسالة إلى عبد العزيز آل سعود نصها: (يا صاحب الجلالة.. يا أخى فى الله والوطن، إن مبلغ العشرين ألف جنيه إسترليني ما هو إلا إعانة منا لدعمك فيما تحتاج إليه فى تصريف شؤون ملكك الجديد فى هذه المملكة الشاسعة المباركة، وإنى أحب أن أؤكد لك: أنه ليس فى هذا المبلغ ذرة من الحرام، فكله من تبرعات يهود بريطانيا وأوروبا الذين قد دعموك لدى الحكومة البريطانية فى السابق ضد ابن الرشيد وكافة خصومك، وجعلت بريطانيا تضحى بصديقتها السابق حسين لأجلك، لكونه رفض حتى إعطاء قطعة من فلسطين لليهود الذين شردوا فى العالم) وقد استفسر منى عبد العزيز عن بعض العبارات الواردة، فأفهمته أن اليهود هم حكام بريطانيا بالفعل، إنهم الحكم والسلطة والصحافة والمخابرات ولهم النفوذ الأقوى وكانوا وراء دعمك، وكانوا ووراء الاستمرار

فى صرف مرتبك حتى الآن عن طريق المكتب
الهندي، كما كانوا فى السابق وراء قطع المرتب
لاختبارك هل ترفض أو لا ترفض التوقيع بإعطاء
فلسطين لليهود). وقد حملنى عبد العزيز رسالة إلى
ابن جوريون هذا نصها: (الأخ بن جوريون، إننا لن
نسى فضل أمنا وأبونا بريطانيا العظمى، كما لم ننس
فضل أبناء عمنا اليهود فى دعمنا وفى مقدمتهم
السير بيرسى كوكس، وندعوا الله أن يحقق لنا
أقصى ما نريده، ونعمل من أجله، لتمكين هؤلاء
اليهود المساكين المشردين فى أنحاء العالم لتحقيق
ما يريدون من مستقر لهم يكفيهم هذا العناء).

الخلاصة

إن كتب التاريخ زاخرة بأكثر مما كتبناه في هذا الكتاب، وما نقلناه عن صحاح المصادر احتراماً لعقل القارئ، ولن يخفى عن بصيرة المتابع النابه، فظاعة ما ارتكبه حلف الشيطان بين أحفاد أبي جهل (الوهابية) وأحفاد ابن سلول (آل سعود) في حق الإسلام والمسلمين، ولم نفعل ذلك من أجل التشهير بأحد، أو لأن لنا مطامع سوى مرضاة الله سبحانه وتعالى، وغيرتنا على أمة الإسلام التي سلمت أمرها إلى حكام تحركهم القوى المعادية كيفما تشاء، وما نقلناه، قلوبنا مطمئنة إلى أنه الحقيقة كما هي، لتضع كل مسلم أمام مسؤولياته، والانتباه لما يحاك ضده وضد وطنه وأهله ودينه، وهذا الوباء الذي استشرى وخرّب عقول شباب الأمة بترهات تدفعه إلى تكفير أهله، والتتصل من ثراته وتشويه هويته إلى درجة يقتل فيها الأبرياء دون ذنب، وتقمع فيها الأفكار التي

قد تكون منقذة للأمة من كبوتها ولا تؤمن سوى بالعنف والتدمير وسيلة للدفاع والحوار، وتهدد كل وحدة وطنية، وتكفر كل مسلم دون سند أو حجة، وتتآمر على كل حركة وطنية وتفتعل الأزمات والفتن لتثويته الصالحين من نجباء الأمة وقادتها، ولا يمكننا فى هذا المقام إلا تنبيه كل مسلم بقول الله تعالى: ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ (الحجرات: ٦).

والتأكيد على أن الحقيقة ضالة المسلم أينما وجدها أخذ بها، وأن الساكت على الحق شيطان أخرس، مع الإصرار وفى تلك الظروف بأن العنف ليس من طباع المسلم المأمور بأن يدفع بالتى هى أحسن، ويدعوا إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، ولينصرن الله من ينصره إنه على كل شىء قدير، ويبقى السؤال الملح ما الذى يجب علينا فعله لإنقاذ الحرمين الشريفين وأولى القبلتين مما يحاك ضدهم؟! أليست

هذه من أولى مسؤوليات المسلمين شعوباً وحكاماً فى
وقتنا الحاضر . والله ولى التوفيق .